محمد المزيني

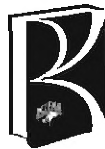
رواية

نكهة أنثى محرّمة



نكهة أنثى محرّمة

الطبعة الأولى
بالمملكة العربية السعودية



ⓒ دار الكفاح للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المزيني؛ محمد بن عبدالله

نكهة أنثى محرمة. / محمد بن عبدالله المزيني - ط١. — الدمام ١٤٣٠هـ

..ص ... سم

ردمك: ٦-٠٧-٨٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية - السعودية - أ.العنوان

ديوي ٨١٨,٠٨٣٩٥٣١ ١٤٣٠/٢٦١١

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٦١١

ردمك: ٦-٠٧-٨٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨



AL - KIFAH PUBLISHING HOUSE

دار الكفاح للنشر و التوزيع

General Administration :

Dammam - King Khalid St. - Rabie Area

Tel.: 03 8330607 - Fax : 03 8343633

الإدارة العامة :

الدمام - شارع الملك خالد - حي الربيع

تلفون : ٠٣٨٣٣٠٥٠٧ - فاكس : ٠٣ ٨٣٤٣٦٣٣

الفروع :

الدمام - العدامة - تقاطع ١٣ - تلفون : ٠٣٨٠٥٨٧٧٥

الرياض - الديرة - شارع العطايف - تلفون : ٠١ ٢٨٧٦٧١٨

جدة - تلفون : ٠٢ ٦٧٥٥٩٥٠ - فاكس : ٠٢ ٦٧٥٥٢٨٥

E-mail : publishing@kifahprint.com

الاشراف الفني

مركز الكفاح لخدمات المؤلفين

تصميم الغلاف: هشام محيي

Text Typesetting :

Al-Kifah Printing Press

Printing Finishing

Al-Kifah Printing Press

الصف الضوئي :

مطابع الكفاح

التنفيذ الطباعي

مطابع الكفاح

نكهة أنثى محرّمة

(رسائل إلى الحبيبة الأولى.. الأخيرة..برغم الخوف)

رواية

محمد المزيني
Email. maz4u@hotmail.com

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

فاتحة

حبيبتــي التي بعثها القــدر ذات يوم تاريخي مجيد ، حاملة رســالة الغــزاة الفاتحــين لمدينة القلب المهجور ، بأبيات ســحر تراقص ضــياء الوسن.

هل ستغفرين ؟

هل ستعودين من طرقات النأي والجحود ؟

ليت كلمات الليل تحرق وجع الإحساس بالخطيئة.

بعدك لم تعد الحياة مترعة بنزق الأطفال اللذيذ

و لم تعد تتحلى بفضيلة البقاء.

آآآآه..ليت أنفاس الصدر الكظيم تلبس جلباب الحكمة فتنطق.

ليتك أيها الشــاعر المغرم صبابة بلهفة القلم وجرح العبارة الدامية تغرف من شواظ عزيمتي المجللة بالأسى عنواناً لقصيدة قادمة.

ليتك أيها المبدع تمسح عن دنفي ركوة الوجع ورائحة الكفن.

حبيبتي التي لم أتشــبع منها كطقس خــرافي مثلما قرأتها في إيوانها وصحافها؛ قطوفاً دانية ألتمس شفاعة روحك إلى قلبك.

كم عفرتنــي الرذيلة بجناباتها؛ يوم نذرتك لرياح العهر والضــلال تذروك كهباء وترحل بك بعيداً.. بعيداً ،

حبيبتــي: لقــد تقطعت بك الأســباب وتبعثرت كل الســبل الموصــلة

إليك.

كم كنت جاحداً ،لم أقاوم ،لم أشرع صدري دونك حتى لو سحقت آخر عظمة من فقرات ظهري.

مثل هذا الجحود شكلته خميرة المدينة التي يتسلل منها الحب عبر أبوابها الخلفية.

فلا يبقى سوى الموت المنتفش من هزال الأرواح المسكونة بالوحشة، والذعر، الموت الذي يكور تخوماً للسكون

الموت الذي يرسل جحافله مثل كتيبة تحرٌ تدشن ملذاتها برقصة استفتاحية على ترنيمة القلوب المقفرة والرؤوس الخاوية.

حبيبتي وسن:

بات انقطاعك موغراً بالبكاء حد اليباس .

اليوم تسلخت من خوفي..

تجردت من أسمال الذعر ..

اليوم قررت فضح ما توارى خلف عباءة الاستبداد والقمع.

اليوم..سأتلو شيئاً من آيات حبنا الأسطوري في مدينتنا الميتة.

كيف أحيينا عظامها النخرة ؟

كيف غرسنا جذوعها الخاوية ؟

الآن أضغط بأناملي خاصرة قلمي.أراها ترتعش وكأني أضغط على

زناد بندقية. يا لهذا القلم كيف غدا عصيّاً على البوح..

هل جف هو أيضاً من رعدات الخوف ؟

منذ رحلت لا..أقصد اغتصبت مثلما تغتصب كل نساء المدينة بأوراق صفراء باهتة وأنا أتلجلج بالعبارات التائهة ،لم أبرح الحرف الأول.

في هذه اللحظة هويت مكبّاً على دنفي أمرر قلمي أتخطف تفاصيل وجهك الذي لوّحه التوق بتجاعيد الغياب.

إليك يااا...(وسن) آهة معبأة بك...

ساعة النبوءة الأولى

(١)

جاءت ساعة النبوءة الأولى...

كانت تشير إلى الثالثة والنصف من بداية القرن الأول.

(يمكن) لأني منذ سنوات مجهولة من عمري نسيت هطول النوم.

لم أعد مستفزاً للصحو، فعندما يدلف الصباح مشرعاً وشاحه الشمسي، سيجدني أحد المارقين ،تصافح عيناي ثغور الأطفال الصغار المكلومة ببقايا ضحكات بائتة على قارعة الطريق، وهم يحملون حقائبهم المدرسية محدودبي الظهور. يااااااه.. يا لها من صورة قديمة قدم غيابك الذي أنبت غابة حزني. كنت لا تفوتين هذه المشهدية الاحتفالية لبواكير الصباح البادي من وجوه الصغار المعروشة ببقايا نوم.

حبيبتي وسن:

كل مواقيتي الملفعة بالصمت والحيرة والتشتت مضبوطة برسالتك التي كان يدن بها محمولي كل صباح:

(إن كنت تحب فأصغ جيداً إلى أعماقك ستسمع محيطاً يلجّ بالغناء وشلالات تعزف مقطوعة موسيقية، وينابيع صافية تشع بضياء عندها ستصبح قطب الكون معجوناً برائحة الشياطين

ونكهة الملائكة ؛حينها ستعقد مصالحة.. هدنة أبدية بين الشياطين والملائكة)

كنت لا تفوتين مشهداً عابراً دون لمسة سحرية ، تكتشفين اللحظة الخافية منه ،و تضعين له اعتبارا يليق به.

علمتني كيف أبصر ما وراء الأشياء حتى التافهة منها، كما يصنع من بقايا الأوراق المحذوفة في سلة المهملات وردة. أو طيارة ورقية ، وهذا سر عظمتك التي نخزت ذاكرتي المعشوشبة على ظمأ أيام عجاف هزت أبواب قلبي المزنر بأقفال صدئة فتساقط منه البكاء المكظوم.

حبيبتي وسن:

رغبتي في البوح تعادل كمدي بفراقك. هل تذكرين الساعة الواحدة ظهراً .كان صوتك هو الذي تناسل مع تكاتها و استفز جنوحي للكلام ورغبتي بالهذيان..فكم أولجنا النهار بالليل وكورنا نجوم الشهادة الأولى للاختبار الأول.

ركبنا ألعابنا الصغيرة من حروف متكسرة حتى تلاشت أصواتنا عند تخوم حشرجة لذيذة. كما أوقدت نار اللهفة ، وكانت المرحلة الأولى لتدشين ميلاد قرننا الأول ، ما هز نشوة العبارات الوردية المتدثرة بقلمي الصقيل ،و رشفت حبره ألف مرة مستفرغاً مكنون

العبارات الملونة.

يااااالك من ساحرة توغرين أحبار الأقلام للكتابة مع شيء من (الدخان)..كنت قلت بنغمة متكسرة تفوح اشتهاء:

اكتب.

قلت:

ـ ماذا أكتب ؟

كتبت حتى ملّت أقدام الحكايات الوقوف على ناصية الانتظار... أهه..تذكرت ماذا قالت لي أيضاً قبل غيبتها المفاجئة تلك التي شفّتها عبارتها الأخيرة... (الملائكة أيضاً تموت) حيث وضعت النقطة الأخيرة في السطر الأخير من كتاب القرن الأول والأخير... اليوم يرتجع صوتك مثل دخان يتقاطر من مدينة الضباب. هناك وأنت تقضمين ألواح شهر العسل سمعته يئز في أذني من سماوات غيابك المترع بالمفاجأة والذهول.

وروحك المعبأة بروحي قالت:اكتب سيرة الغياب.. الجحود الأولى..لتكن فاتحة لنهاية الوجع اكتب هزيمة الحب أمام جحافل المردة المجندين لإحراق مدن القلوب الخضراء.. اكتب رسالتك الأولى عن لاءاتك.. لا ترحلي.. لا تتركيني... لا تذعني... إذن لا تنسني . اعترف فالاعتراف بالهزيمة هو انتصار للروح انتصار

على الوجع انتصار أيضاً على اللاءات الفارغة.

الآن ؛ وفي مثل هذه اللحظة من بداية قرن العذاب قررت أن أكتب . فانتظروا قرب المسافة القادمة للتوطئة ثانية تجمع بين أرواحكم الشفيفة وقلبي الذي لا يزال رطباً بخمرتها انتظروا سفر الفاتحة الثانية بلا بسملة.

حبيبتي وسن:

هل تذكرين ؟ كنت قبل مدة من ومضة الكتابة أستنشق عبير خاصرتك، حتى موطئ الشهوة فيك..قلت لي:

- (أمممم) لا تقحمني بحراً لجياً لا أجيد السباحة فيه. ظللت أتحسسك بين أهدابي في بؤبؤ عيني ، في مساماتي تنبتين أبصر رائحتك تتلوى بين أصابعي.. آآآه منك كانت عروقي تتغذى منك وبك فلا تعذبيني بشوقي الدائم إليك. في البدء. كنت أتمنى غرس عيني في جبينك المضرج بقبلات ملائكة السماء لأني صدقتك يوم قلت لي ذات مساء: إن الملائكة تقبل المؤمنين في الجبين لأنها منبر الضياء. هل تذكرين ذلك المساء الذي مل انتظارنا ،كان طريق (خريص) يغص بضجيج السيارات وأنفاس السائقين وأعينهم المرهقة .

وحدي كنت أقفز داخل السيارة باحتمالية تشكلها كالمنطاد

فتقفز بـي إليك قبل أن يرتد طرف المسـاء الرياضـي الممل لأدلف نحوك بما تتسـع له الأرصـفة الفقيرة من خطوات العابرين ؛ حيث تكونين بانتظار مذعور وريبة تذرع عيناك ممرات (الكوفي شـوب) تفركين يديك، وتطقطقين أصـابعك بعين شاخصـة ووجه يتغضن مـن الخوف وأناملك تنتح قلقها من أزرار المحمول ؛ هذا بالضـبط ما شنجني وأفقدني حيلتي وهرب صبري. كنت كالمقعد على كرسي متحرك متحيناً الفرصة.. فرصة مراهق يقود السيارة للمرة الثالثة يراوغ في الزحام بانتشاء عارم. كنت أتوخى الخلاص من أي مفرق أصادفه، مرة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال.

لم أصـدق وأنـا أهوي بجسـد يترنح من قشـعريرة اللقاء الأول المرتقب أن ذلك الفيض النوراني المشع قبالتـي هو وجهك، حينها أغرقتنـي ببرودة لزجة ؛تحديداً و أنا أسـكن يدي في يدك ونمضـي كعروسـين في زفة عتيـدة. هل تذكرين عبارتـك الأولى، لم تتورعي عن الاعتراف بالذنب وهذه إحدى فضائلك: قلت لي:

- الخيانات الصـغيرة كفراشـات الليل تموت في سرها قبل بزوغ النهار وها نحن أعظم خائنين صغيرين.

لحظتها تبعثرت عبارة كنت جهزتها فوق لساني، لا أدري كيف؟

شعاع ضياء وجهك بتر حبالي الصوتية ، ولساني أمسى مقفراً ساعة انبلج سر إبداع الخالق ،أبصرته باحتفالية، تمنيت حينها لو أتمطى بحرية أقايس عروق حمرة الشفق في وجنتيك وأطبع قبلة الصلاة الأولى. أرتشف رحيق عجينتك المفخخة بعطرك المخيم في المكان.

كم كنت أتمنى أن لا يرتفع شهيق الرغبة داخلي حتى لا يندمل ثغرك على رغوة من بقايا اشتهاء. انتظرتك تمارسين هوايتك للكلام. رنوت إلى شفاهك تنشئ العبارات حية على الهواء ، ثم أسرجنا ليلنا بأحاديث لا تنتهي عبر خطوط التوصل الساخنة. تأكدت موهبتك الفذة في تنضيد الكلمات بلا ارتباك أو تلعثم ، وهنيهة تلامست أطرافنا أمطرتنا سحائب الشوق ، فكانت رجفة اللمسة الأولى ومسحة النزق البكر مبعث آهة فطرية ذات جلال... هناك ولد المساء... في الركن المغمى عن الأعين المتلصصة.... المكان المشتهى والمقدس لديك فليس غيره يصنع قهوتك اللاذعة بطعم الهال.. لم ندر كيف تلاشت عباراتنا... طارت كأوراق محترقة تبعثرت هباء منثوراً... أجهش الشوق في جسدينا... أهرقت حممي بين أحضانك... وعروقي تغرف غرفتها المحرمة من ينابيع ذبولك... للمرة الأولى ألعق لظى نار اللذة البكر. توالدت

رغبتنـا في الخـروج من دائـرة الوقت وحيز المـكان في لحظة لا تحسب إلى أي شيء.. لا تلمس... لا تحس... لا ترى... تماماً مثلما يفعـل الطفل حينما يلقم ثـدي أمه للوهلة الأولى من يفهم قصده ؟ من يدرك لذته ؟ من يحسه ؟ حتماً لا أحد.. لا أحد.

كذلك كنا نهصر مسحوق اللذة العجيب الرائب في ثغرينا حتى انسـرب الوقت مـن محرقتنا المقدسـة لا ندري كيـف ؟ كان صوت النـادل يقرع آذاننا بعنف...أخرجنا مـن غوايتنا ليعود إليَّ وجهك لامعا كبلورة ساحر. وعيناك كبوصلتين للزمان والمكان بعدما أغدقت عليـك من قلبي المنتهض للاتصال بـك والتلاحم بروعتك وفتنتك سحائب منذرة بهطول ماء التكوين. كنا...افتتحنا اللقاء واختتمناه بقبلة عميقة، تأوهت منهـا عظامنا حتى اغتسلنا ببعضنا... تركت لك أنفاسي ورحلت أطوق رائحتك بين أحضاني كباقة ورود.

Sms
حبيبي أشتهي قهوتك ... تورطت بك ... ودي أكرهك

غوايات صغيرة

كنت قبلك أبحث عن غوايات صـغيرة أهربها من أجساد الستر وعباءات الحشـمة مجانا. كان عنادي ملتئما على محاولة اقتطاف آهة نشـوانة سـريعة الذبول ناجزة للوأد... صوتك العذب أسكرني وارتطامي المتكرر بحزنك الرقيق المتفشي بعباراتك المتقطعة هشما حدة نزقي نفدت كل طرائق الحيلة للوصول إلى حالة العبث اليسير حتى حزنك موغل بالتطرف، يااااله من جبروت... جبروت يرخي حنجرتك ويداهم نشوة روحي.. أول عبارة غزل قلتها بجرأة متلكئة شيئا ما:

كتبتني مثل قصـيدة بلا قافية.. ورسمتك مثل لوحة ترى من كل الجهات.

هل تذكرين؟ سـاقني صـمتك إلى زلفة أخـرى قربت خطواتي إليك..قلت يومها أيضا:

لقد أحدثت زلزال نشوة من نوع.

قصدك أحدثت نشوة لجسد متلهف لطرق الحديد وهو حام... ههههه.

كنت تدعسين على مكمن متعتي بك. تصطادين أفكاري كعصافير

جائعة تقع فوق كل شيء فيسهل اصطياده لم تتواني لحظة في قطف عنقود عنب أثقلت أغصانه به..كنا قد أجهشنا بأحاديث متكسرة خلطناها بمعدني الروح والجسد مزجناهما مزجا يماهي خلق الله أو هو ذاته...خلق أودع في حرز فطري مكين.. في ليال أخر.

بت تلحين دائما على الذوبان... تتوخين جسدا مشرئبا بنزوات متوالية مثل إشارات مرور حمراء تقفين عندها للتأمل عشقتها معك... قلت لك أحببتها كم هي جميلة لأنها تذكرني بارتباكك اللذيذ أمام غلواء متعتنا.. إشارات المرور أيضا تمنحني الفرصة لكتابة رسالة sms قصيرة لك...لقد ارتبطت بنا مباشرة بلقاءاتنا المتكررة باشتهائنا... تمددنا.. سيدة الديتيلز هل تذكرين؟ يغريك هذا الاسم الحركي الجديد صرت أناديك به حيث التفاصيل التي تبجس روعتك...هنا يكمن سر تكدسك بكل الأشياء الدقيقة... حتى حالة فورانك ترتكسين في استعراض

(الديتيلز) لا تبرحينها حتى تفرغين منها تماما... الطرق المصنعي لا يشعرك بأنوثتك الكاملة... ارتقاء الجسد الخاطف يقرفك... يعجل بموتك...ابتسار اللحظة يحولك إلى شيء منتهك انغماسي بك و(بديتيلز) منحني وساما ذهبيا لامعا... وصرت لك

المحميـة الأخيرة التي تلوذين بهـا كهاربة عن أعين المتوجسـين... الشـكاكين.. لن يعثروا علينـا ما دمنا نخبئ تعاويذنـا في أزقتنا... نهربهـا داخل منعطفات هـذا العمر المجيد بي وبـك... الأزقة تلك التي خلقتنا من جديد وصـورتنا في أحسـن تكويـن... رحلتنا التي أنجزتها في غضـون شـهر كانت عظيمة.. ورحلـة تطهير... فقدنا فيها حتى أحذية الكلام فمشينا صهد قائلة النزوة حفاة... نتخبط بلا جهات فجهاتنا عيوننا فأينما نولي فثم وجهك ووجهي.

في المسـاء الأخـير المتمم للثلاثين.. قلت لك بصـوت مسـتهام متلعثم:

- وسـن... أريد أن أعصـر مـا تبقى مـن عرقي فـوق أديمك لم أصدق أذني المتعبتين المسـتوفزتين لكل العواصف المخيمة بصوتك وأنت تقولين باسترخاء غير اعتيادي:

- آآآآه.. تريد استصلاحه كي تدفن بذورك.

- أريد دعك بشرتك لأقشر عنه رائحة الجسد الفاتر.

- لتعبق منه رائحتك أنت.

- لتتغلغل في مسـامات جسدينا سـأمرره وئيدا بين حدوده العليا

كي لا يجرح كبرياء.

- آآآآة من طوفانك أريد أن يبتسم ولو بنصف انفراجة.

- هـل ستثقين بي؟ هل ستمنحينني فرصة الاقتراب عبر أبواب روحك المهتوكة؟

- تريد أن تغوص؟!

- وهل لعنفوان رغبتي من حدود ؟

- أخـاف قـوة الارتطـام... إن تحـدث شرخا أخـاف أن يخدش قشرتي اللينة.

- شوقـي إليك بات مثل حصان جامح تغريـه المسافات العميقة، فتوقه للوثوب لا يعادله إلا الصهيل.

- لـن أدعك تختبر حجـم شوقي لمداعبات لبدتـه وهو يهز رأسه بجاهزية كاملة للركض صاهلا نحو الأقصى منك..ومني.

- أخاف أن يقبض علية حارس مهجعك وينحر أطرافه.

- آآه... حتما سيعود مظفرا برائحة مباركة حاملا عرش مملكتي المغتصبـة مزهوا بنشـوة انتصار يـا... هل تسمعني يـا سليمان.. فبلقيس تسجد بين قدميك الآن...

Sms
علمني كيف تؤنث الأنثى بالأنثى .. هكذا ببساطة

شهقات الجوى المدنف

(٢)

اليوم سأدون تاريخ الحكي بعيداً عن ممارستك الشهية الفريدة لحظة تغمسين أصابع التويكس بكأس النسكافيه..قلت اليوم لي رغبة بروزة أوجاعي على قالب سكر دونما تعاريج أو التفافات، أعذاري موبوءة بجروح عذرية غائرة تلجم أفواه البوح، وفطرية العبارات بسردية ملتاثة بحرارة الجسد. اليوم يا سيدتي الطرية بالآلام سأنفح القراء حزمة من أسرارك. أستميحك عذراً لأني سأوقف انهمار مشاعر اللهفة، ومضات الشرايين المتجمرة.

سأحدثهم عن حكايات أخرى مروعة تشي بها عينك المنكسرة على صفحة سوداء تغص بالدموع وشهقات الجوى المدنف. كان صدغك وأنت تزيحين نقابك المطرز بالكريستال متورماً باحمرار الشفق المائل للمغيب كانت تنأى عنه كل تباشير فرحة اللقاء بك، و تغرب عنه سكينته و ينقشع صفاؤه.. إبان شهر فائت كنت ترممين جسدك... تقشرين عنه بأشعة الليزر بقايا الضرب الماثلة بدكنة بشعة فوق أجزاء متفرقة منه. هل تذكرين مساءنا ذاك؟... كانت مفارق أسنانك لا تزال مفشية بخيوط دماء...وشفتاك اللذيذتان مشوهتين، لم توارهما ذاكرة القبل أو ابتسامات النشوة.. انتهى كل شيء سحق تحت يديه الصلفتين... قلت:

.كنت أتحاشى مجاراة فظاظته الدائمة... أداري صوته الراجف

في كل مـكان طلبـاً للأمن من تربصـاته ، لم يعجبه سـكوتي؛ بحث عن دافع يجير لمصـالحته وقتما يتوجه نحو صدغي بالصفعة الاستفتاحية، ويسحبني من شعري كالمعتوه لابطاً بجسدي الصغير بلاطات الصالة الرخاميـة ، كي يدعسـني بقدمـه.. قلت لأبي ألف مـرة هذا مجنون لا أريده.. أرجوك خلصني منه قبل آن يقتلني أو أتورط معه بأبناء سيئين من ظهره النتن ويردد الوالد الجليل أسـطوانته المشـروخة وكأنه يذكر الله في سـاعة عبادة...البنات ما هن إلا أزواجهن احتسبي عند الله... كيف أحتسب؟! قهره لي دون سبب ، وسحق آدميتي بلا مبرر فكرت ألف مرة أن أرفع شـكوى ضـده للمحكمة ، فعدلت عن ذلك بحسب نصيحة صـديقتي ضـحى حذرتني من الولوج في متاهات أروقة المحاكم ؛ لأنها ستنتهي لمصلحة الزوج حتماً...كما حدث لها بالضبط مع إضافة أخرى صـغيرة ستضاف إلى السجل الشخصي.. فضـيحة ستدار بين الألسن كفرقعة لوز لذيذة. لن تفي أسـباب الطلاق بأجندة القاضـي الطويلة، هل سـأخبره عن تعاطيه المخدرات؟... هل أكشـف له ممارسـاته غير الأخلاقيـة مع أخريات وآخرين؟.. هل أدس في أذن القاضـي معلومات أكيدة عن كفره؟... أنه لا يعترف بالله...حتماً سـيأتي حاملاً مصحفاً وسـجادة صلاة وخمسين شاهداً.. فاسقاً مرتزقاً دفع لهم مقدماً.. بت محاصـرة بين القاضي والسـجان وأب يتلهف لملء حسـاباته بمقايضة رخيصة منه.

حبيبتي لم تتورع عيني من مشاركتك البكاء.

كنت بين الفينة وأختها تهزين رأسك استشعاراً ببلوغ الجرح أعمقه... ليستشيط شعرك متماوجاً على مفرق رأسك كعلامة إخفاق متكررة في حياتك. أرمقك وأنت تردفينه براحتك وكأنك تسكتين به انتثار روحك. المطحونة.. كانت حكايات تيك الليلة الفجة مسجرة ببكاء ولطخات متفرقة من النشيج... حتى أواسيك قلت لك:

- أنا مثلك أقاربك الألم أتيتك مرتوياً بخيبات كثيرة.. بيد أني لم ألتصق بالبكاء كحلزون مائي؛ بل ارتفعت طافياً فوق لزوجة الخدر في عتمة ذلك المساء الكئيب الذي باركنا باستحضار الوجع، رتبنا أوراق الماضي الدامية فانفتق نزيفي الذي خلته غيض منذ زمن بعيد... لقد أسرجت خيول الحزن من جديد حينما رأيت لثغة الليل متجللة بصوتك المتهدج وبكيت يا حبيبتي ربما لم تسمعي بكائي... قلت لك ما بال الدمعة تتوقف كحارس مرمى وسط العين مثل وشم قديم لعلها كذلك... أراها واجمة فوق الجفن ببرود في مرآتي في صورتي التي التقطها موظف الأحوال المدنية عنوة كعلامة فارقة لميلاد الحزن فلم تسقط حتى بكيت وأبكيتك تلك الليلة المشهودة برقائق العذاب... فجرنا معاً صهاريج المعاناة عن وجنة الصبح القادم حاملاً بواكير ميلاد جديد. لم يتوقف هدير صدرك وجيشان عينيك حتى حطمنا أصنام الوهم واجتثثنا جذور الخوف والتردد، تلك الماثلة في روحك كشاخص يمثل كآبة من نوع ما كان أولها أباك الذي أمرج عليك حياتك وعسفك على ما تكرهين، مقتاتاً كغراب ليل من جسدك الطاهر حطام دنيا زائلة، قدمك غواية لأقرب متلمظ

لامتطاء جسدك مقابل حفنة نقود.. واشتراك رجل مأفون؛ أبأس عليك حياتك بثمن بخس دراهم معدودة وكان فيك من الزاهدين... هل تذكرين كيف قدمت الرؤوس مطأطئة كي تنالي شهادة خلاص موثقة فكان ذلك الخلاص مثل عملية جراحية استؤصلت خلالها روحك.. أو تشبه ولادة متعسرة خسرتك رحماً معداً لتنشق منه الحياة...قرارك بحذف متطلبات الجسد من قائمة خياراتك اليومية كان يولد لديك استشعاراً ذاتياً يعزز وجودك. كلفني وقتاً طويلاً لاستعادتك..كانت بمثابة ملفات مفقودة داخل ذاكرة مزدحمة بأشياء كثيرة وهذا ما صعب مهمتي لانتزاعك من هوة أخرى في حياتك... في لقائنا الأربعين من عمر العذاب كنت هزيلة، تقلم وجهك خطوط شيخوخة مفتعلة حتى ابتسامتك كانت تمتح الأرق.. قلت لك:

- وسن.

- عيون وسن.

- ألم يئن الوقت للإقلاع عن تناول (السينوكوان) العقار المضاد للاكتئاب ؟

- هل أستطيع...؟

- إن كنت تحبينني.. الحب يصنع المعجزات سأكون إلى جانبك. لن أتركك... أنت حرة الآن.. لنبارك هذه الحرية بالخلاص من هذا

العقار الملعون.. هل تعيدينني؟

- أعدك.

- أريد ابتسامة نظيفة.

فلم تبرحي المكان حتى أثثتك من جديد... بصمت قبلتك من شفة يابسة كأرض مجدبة قلت بصوت مبحوح:

- أنت زوجي الذي لم يدون في عقد نكاح يستعبدني... الله لا يخليني منك.

قلت لك:

- أنت الحياة.

Sms

حبيبي... هناك أكثر من صيغة لدفئك.. سأكونها كلها... اقترب فقط

لم يعد الرياض رمادياً

غرسنا في وجه الرياض عينين ولساناً وشفتين و(طرنا) يا آآه ما أعجب غنج دعوتك المفتوحة الدائمة للطيران... سريعاً... سريعاً انطبعنا في الهواء وشكلنا خطواتنا في الليل الذي نفشناه على قارعة طريق الشوق الأزلي استفتحنا صلاتنا ببسملة الامتشاق.. امتشاق الصمت أحياناً والضحك مرات والركض أحياناً لنستقر على كوثر القبل الندية نمتح من شرايينا لغة الله في كينونته العليا أبواب الرياض حانات لقلوبنا... نعم قلوبنا هل تذكرين قلت:

ـ أملك ألف قلب لك وحدك فضحكتِ.

لأنني عملياً اقترنت بها فأصبحت كتلة قلب تضخ ليس الدماء بل وسن. لم يعد الرياض رمادياً حتى أبواق السيارات وازدحامها تنبهنا للوقت الذي يسقط من أعمارنا حينما نفترق لم نترك حانة (مقهى) إلا وقد شربنا فيه أنخاب الكسل اللذيذ والخدر الذي يروب رائحتنا.. أعدنا صياغة كل المصطلحات والمفاهيم لم يعد ما يحمل وجهي الصدق والكذب... لقد انساق العقل باستسلام كامل إلى إدارة القلب العليا بلغة واحدة لا غير... تصرين على لا غير؛ لأنها تذكرك بتحرير شيك خلاصك الميمون، كذلك وقعنا حبنا على شيك ذيل بـ..لا غير.. واحد لا غير بـ(أنتنا) وقررنا يا أنتنا

هكذا ركوب صهوة الأمكنة نبخر عرق الغياب ونذيب حمم الوجد.

انتصرنا أخيراً على مخاتلات كل الأعين الفجة الباحثة عن فضول رخيص تحركنا بلا خيفة أو توجس كزوجين كاملي الأهلية... تعرفين حتى ألوان شراييني ومقاسات عظامي والمسافات الفاصلة بين فقرات العمود الفقري وضلوعي لن نخشى الأسئلة المترصدة المفاجئة في بلد يقدر لعبة الخوف والمداراة ولا يفهم أبداً كيف يزن قيمة الصدق... أحرقنا كل أقنعتنا التي تلبسها الوجوه كالنعال لتصبح في جاهزية تامة للامتطاء آهههه يا زوجتي التي حرر قاضي الضياء صكاً نورانياً أزلياً لأرواحنا أيضاً نملك مخزون أرواح نوزعها عبر ابتساماتنا الصافية بالمجان... كنا قد عقدنا العزم على مد جسور قلوبنا للغير مثل تلك الجسور الجوية لمتضرري الفيضانات أو المجاعات.

كان الجسر الأول قد امتد إلى مدينة صديقتك ضحى الموبوءة بأحزان أكلت البسمة من محياها، ولوح وجهها بصفرة البؤس والهم والتعب حتى أوهن جسدها جراء طرق المسافات الطويلة داخل المحاكم... موزعة ما بين مواعيد مؤجلة أو أوراق لم تكتمل، أو شهود أرهقتهم أسئلة القاضي والأيمان المغلظة فانسحبوا إلى غير

غرسنا في وجه الرياض عينين ولساناً وشفتين و(طرنا) يآآه ما أعجب غنج دعوتك المفتوحة الدائمة للطيران... سريعاً... سريعاً انطبعنا في الهواء وشكلنا خطواتنا في الليل الذي نفشناه على قارعة طريق الشوق الأزلي استفتحنا صلاتنا ببسملة الامتشاق.. امتشاق الصمت أحياناً والضحك مرات والركض أحياناً لنستقر على كوثر القبل الندية نمتح من شراييننا لغة الله في كينونته العليا أبواب الرياض حانات لقلوبنا... نعم قلوبنا هل تذكرين قلت:

ـ أملك ألف قلب لك وحدك فضحكتِ.

لأنني عملياً اقترنت بها فأصبحت كتلة قلب تضخ ليس الدماء بل وسن. لم يعد الرياض رمادياً حتى أبواق السيارات وازدحامها تنبهنا للوقت الذي يسقط من أعمارنا حينما نفترق لم نترك حانة (مقهى) إلا وقد شربنا فيه أنخاب الكسل اللذيذ والخدر الذي يروب رائحتنا.. أعدنا صياغة كل المصطلحات والمفاهيم لم يعد ما يحمل وجهي الصدق والكذب... لقد انساق العقل باستسلام كامل إلى إدارة القلب العليا بلغة واحدة لا غير... تصرين على لا غير؛ لأنها تذكرك بتحرير شيك خلاصك الميمون، كذلك وقعنا حبنا على شيك ذيل بـ..لا غير.. واحد لا غير بـ(أنتنا) وقررنا يا أنتنا

رجعة... ليس لضحى سوى مطلب واحد هو حقها في حضانة ابنيها القاصرين... أما حق الإعالة فقد تنازلت عنه بلا تردد حتى لا تثقل كاهل الملف الأخضر العلاقي وعيني القاضي بأكثر من قضية حتى نطق الحكم نهائيّاً بحرمانها منها لتتكسر روحها أخيراً كأعواد يابسة سفتها رياح اليأس.

في المطعم الصيني كانت تجلس إلى جانبك ، تسبغ عينيها الشاردتين كل شيء وربما لا شيء. لم تعر مزحاتنا سوى ابتسامة ناشفة..كنت تحرضينها على إزاحة أستار الكلفة والوجل... قالت لك هذا أنا أقصد أنتنا.. كان تشبثها بصمت احتبست معه لسانها عملية جرد حسابي سريع لطبيعة علاقتنا الفذة، تومئ برأسها المشحون بكل العوادم الآدمية بحثت خلالها عن عبارة تهدم سور الحياء الأنثوي الذي تنصبه كحاجز مروري، بحثت عن عبارة صغيرة تستنهض همة الفرح.. بشرط أن تكون منتقاة بعناية قررت البدء بسؤال صغير بحجم اختبار أنثى أركسها الذعر داخل مصيدة النسيان أو الفقد، برغم كشطنا لكل علامات الاستفهام من قاموسنا اليومي ؛ لأنها لغة تتأبط خبث طوية وتعكير للمشاعر الصافية ، إلا أننا وللمرة الأولى اضطررنا إلى طلبها من ذاكرة قديمة منسية كانت مخبأة في مستودع موصد بمغاليق صدئة.. ربما

تخرجها من صمتها ونظراتها التائهة.. ستكون لغة الأسئلة التي نلجأ إليها قسراً نوعاً من التحدي الواقعي لها سيصدر مثل فرمان صادم بأي شيء مؤذ أو مثل صفعة منبهة لسجين يخضع منذ ليلتين لكل أنواع العذاب داخل غرفة التحقيق هذا بالضبط ما سيخرجها من عزلتها... سيختبر قدرتها على التحدي و ابتلاع الإهانة التي لبستها يوم صدور الحكم كعباءتها الثقيلة.. فهل ستقبل الصمت والخنوع أمام سؤال يدير لها الكون ببعده الفاسد ؟...

كنت أتوخى سؤالاً لا يقبل الصمت أوعزت للساني المتخثر ببقايا لزوجة فاترة من قبلة طازجة كنت قد التهمتها من ثغر وسن قبل ولوجنا المكان ؛ وسألت..:

Sms
أريدك أن تهبني طفلاً... لأستدرك ما فاتني منك

الأيام لنا وحدنا

استحلبنا ذاكرتها المعشبة فأمطرتنا من حليب العلقم قالت ضحى ونحن نلتف بصمتنا ببحة صوت تخنقه العبرات التي تلفها بزفرات تدمي القلب مفشية حزنها الذي أصخب عليها حياتها:

- كنت فتاة في السادسة عشرة من العمر تستقطبها اتجاهات المرايا أغفو ببضع فرحة وأصحو على مقاطع من أحلام لا تبرحني حتى تذكي عروقي لبست قميص الأغنيات ورقصت.. عشقت كل الفنانين تزوجتهم... نصبتهم ملوكاً لقلبي وتوجتهم كفاتحين عبأت غرفتي الصغيرة برائحتهم.. كاظم الساهر يساهرني، أشعر بالجوع فيطعمني (يالحبيب يابه) والعطش فيرويني... زيديني عشقاً زيديني يا أحلى نوبات جنوني خاصمت ابنة خالتي لأنها ادعت بهتاناً أن القصيدة لنزار قباني... قلت لها بل لكاظم فسخرت مني... فزعقت في وجهها حنقاً وطردتها من غرفتي وهي تضحك... تضحك... تضحك وأنا أبكي... أبكي...أبكي شوقاً وهياماً... وسريعاً تصالحنا... ضحكنا رقصنا اقتحمنا مواقع الإنترنت.. نبشناها كما تنبش القبور أخرجنا كل عظامها النخرة ونفخنا فيها من روحنا...أعدناها خلقاً آخر استدعينا السائق عاجلاً فأقلنا إلى حيث مسرح الحياة الناضح بالتوفز وانتظار المجهول الصغير خفقنا بأعيننا نطارد أنفاسنا المتعلقة برائحة

الشباب.. نماري أجسادنا بينهم ونهفهف بروائحنا العطرية ليلي ديور ادكت.. كلفن كلاين؛ نعرج بها على أنوفهم المتلصصة نعبث بهم نقلبهم كالليل والنهار..نعود ظافرين بأرقام نحصيها كمعادن ثمينة نفرز منها الأسهل ونودعها في قائمة المستهدفين بأسماء أنثوية... ثم نقدح شرارة بداية اللعبة على الضحية الأولى نرمي سهام الدلال والتمنع نسوقه إلى بياض شمسي يبهت عينه سطوعها ويجهل ما يتوارى خلفها.. نعصر آهاته بلذة تفوح من مساماته.. نشيعها كجنازة قتيل مات رمياً بالرصاص.. نتسابق بالإجهاز عليه حتى نتقاسم غلتنا منه... جوالات آخر موديل... نقود... سداد فواتير... فما أن تبدأ دماؤه بالثقل ويشح جيبه حتى نحيله على أخريات.. يلتقطن منه كذئاب جائعة ما تركته النسور ونقذف بالشريحة داخل أقرب صفيحة زبالة.. منتقلات إلى أرقام أخر بحسب أولوياتنا الخاصة.. حسبنا أن الأيام لنا وحدنا...نضبط ساعة الكون بغوايتنا الصغيرة.. حتى انفتحت في حياتي هوة خرجت منها عاصفة لولبية التهمتني مضغة طرية بنصف ضحكة لم تكتمل...قذفتني في مكان مجهول.. أفقت عارية... مجردة تماماً في بيت رجل لا أعرفه... تختلط كل المساحيق على وجهي رمقته بصورة مهزوزة وصوت خاثر وهو يقول.. أقصد يخبرني:

زوجك سعد وسأسعدك.

ثم أطفأ الضوء الكاشح على مرمى قريب منه للتراكض في عروقي كريات دماء المقت والقرف... ياااااه كم أحسست أن روحي أمست مثل جدار متهدم أو جيفة يابسة... ركضت إلى أمي أدفن رأسي في حجرها منتحبة.. تمنيت لو أعادتني إلى رحمها لأبرمج تخليق نطفتي من جديد... مسحت على رأسي بفرحة أم العروس التي تتنشق رائحة الرجل المزروعة توا في جسد ابنتها الصغيرة بتفاخر قالت: الأيام الأولى متعبة يا بنيتي غدا سيزول كل ذلك.. انتظرت طويلا لم تغير دمائي مسارها... تيبست أمام نظراته المريبة... شكوكه التي تحوم في كل زاوية من جسدي... ريبته في عطوري وكحلي... حتى في حمامي اليومي يندس بين أرقام تلفوناتي... في صحوي.. في نومي.. حتى في رفة رمشي.. لم أجادل ولم أحتج... أي لم أهتم بانتظار كلمته الحاسمة للخلاص منه.. بلكمة من يده الغليظة أردتني الفراش كشف حملي الأول.. لم يتورع عن اتهامي أمام إخوتي بالخيانة... كررها أكثر من مرة برغم الضرب المبرح الذي يقابل به منهم..حتى ملوا لعبة الانتقام فأعلنوا عجزهم مهادنين لمرض الشكوك الذي يعاني منه... كأن القدر يجري حسابات سريعة معي... يستعيد ما أقرضني إياه من

سـعادة... يسلخ عن ذاكرتي طفولتي ومراهقتي اللذيذة... ولادتان ممضتان بتتابع مريع..قدمتا لي ذكرين رأيت صورة أبيهم منطبعة علـى ملامحهما حتى كرهت جسـدي وكدت أختنقهمـا بيدي... لم تلبث غمامة القلب طويلا.. انزاحت عنهما وانقشعت غشاوة روحي فاستنشـقت رائحتهما لأول مرة وحنوت عليهما وعشقتهما كملكين.

لم أكـترث كثيرا لورقة الطلاق التي حذفها في وجهي وولى إلى غير رجعـة... ذلك اليوم بكيت مـن الفرحة.. فرحة الوصـول... نهاية طريـق الآلام المزروع بالشـوك والعطن...انتحبـت كثيرا على موال كاظم قلت: عاد إلي كاظمي ورجعت إلى حبيبي بصـوته الذي يعيد ترميم القلوب بأغصـان الوجع الحي ،الذي يجعلنا نتلمس أرواحنا بحرارتها التي تسبغ على حلوقنا آهة منعشة:

محاني محاني بكيت وصارن ضلوعي محاني
محاني انحنن يادينيا وياي كل مشيك محاني
محاني كتب لاهلك كذب وانا محاني
محاني شلت بظلوعي مأتم ولا من شاف
يعوي ذيب قلبي وروحي لا تخاف
حسبت المات لان مات مرتاح
كثير من الدواء يتحول سموم

وكثير من البشر صاروا ذيابه

هل تذكرين يا حبيبتي كم كانت تلك الليلة مسكونة بوحشة لفت بخميلة داكنة من الصمت... خرجنا ليلتنا تلك مثخني القلوب بجراحات ضحى المرة مشيناها متخطين عتبات الأسئلة الشائكة عبر مساحة البوح... مترهلين نحتسي عهر مدينتنا.. تلك الساعة لم نبصر وجوهاً... لم نلتفت إلى وجوم الطرقات وكآبة الأبواب.. امتطينا سيارتنا نجوب الفضاء الداكن كباحثين عن مفاتيح لنوافذ الأكسجين الموصدة... أمسكت بأناملك الرقيقة أمد أوصال الحياة كي نضخ لبعضنا بعضاً من رحيق البقاء.. تورمت روحي كبالون كبير أحسه يعبر صدري ويهزني لقد اثاقلنا إلى الأرض وقعدنا عن الطيران... أحسست بحاجتي لقبلة الحياة طلبت اختلاسها... قلت:

- اركد ضحى لا تزال معنا.

قلت:

- إن الله لا يستحيي من الحق .

ياااااه لم تكن قبلة ، بل روحاً تغلغلت في شراييني استشعرتها.. تماماً بحجم الحمحمة الفرسية التي اجتبتك...لحظتها كنت

الطـيران... أحسست بحاجتي لقبلة الحياة طلبت اختلاسها..

قلت:

- اركد ضحى لا تزال معنا.

قلت:

- إن الله لا يستحيي من الحق.

يااااااه لم تكن قبلة ، بل روحاً تغلغلت في شراييني استشعرتها.. تمامـاً بحجـم الحمحمـة الفرسيـة التـي اجتبتك...لحظتها كنت اشتهيـت مشاركتـي زجاجـة كوكاكـولا بـاردة نرجهـا قبـل فتـح غلاقتها... نفرقعها ونتركها تطيش... تطيششش تطيش.. نتبخر معها وننسى.

Sms
اليوم عشقت إشارات المرور ؛ لأنها تذكرني بارتباكك اللذيذ

عندما تطلبين النيسكافية

فأنتِ في غاية الحب

لا.. لا نريد للألم الذي كنسناه أن يقارب غضارة أيامنا...ضحى المنضوية تحت حطام نكستها ذهبت إلى حيث ترمم روحها أو تصنع لها جسداً يواري سوءة الذل... ليس معنا سوى حريتنا... نعم حريتنا التي اغتصبناها عنوة من تحت جفن الرقيب... ومشينا...في دروب اللامكان واللازمان... هذان البعدان صنعناهما لنا فكل مكان نؤثثه من جديد ونعيد بناءه ؛ ليتناسب مع أبهة احتفالية الحب والحرية... هكذا اتفقنا أن نمشي.. المشي هو رياضة للقلوب المدنفة... تسليك لكل العروق المسدودة بأوهام... وهموم.. مشينا مثلما قررنا أن نمشي في دروب الرياض بوجوه سافرة وأقدام ثابتة:

- ما رأيك في الهرولة..؟

- أين ؟

- هنا.. في ممشى طريق الملك عبدالله.

كانت عينك لا تزال ترف مثقلة بالألم توخيتها مشغولة بمأساة ضحى قلت بعبارة ممطوطة وثقيلة:

- نعم نهرول.

كنت ألمح تمتمات ترطب حلقك قبل أن يتحرك بها لسانك أستشعرها وجه القهر الملعون بدأ يرتادك...في مثل هذه الساعة الخاملة من ليل الرياض الذي بدأ يستقبل بواكير البرد المنعش.. لن تفسحي ممراتك لأقدامه الهمجية... واثق أنك لن تعطيه جواز مرور فهل ستفعلين

وتحنشين؟.. لن أدع لأيادي الحزن الشيطانية أن تفسدنا أو تهدمنا أعرفك حينما تواربين الهم بارتعاشات أطرافك التي تنفضني كشواظ كهربائية بفولتية عالية حاولت في أكثر من نكتة ماجنة اغتيال همومك قبل تجذرها حتى كممتني تلك الرسالة التي سحبتها من حقيبتك الصغيرة... رسالة منقوشة بأحرف مرتبكة على ورقة محفوفة الجوانب بورود حمراء صغيرة عصرني قلبي فجأة.. لا أخفيك التهمني الرعب كمضغة سائغة... وكنت جاهزاً لكل الاحتمالات القدرية..قرأتها ونحن نتخطى بلاطات المشى متجهين نحو دكتور كيف القابع نهاية المشى من الناحية الغربية... وقفت تنظرين دورك للتزود منه بسقيا الرحمة اللذيذ من اختياراتك ذات المعاني... فعندما تطلبين النسكافية فأنت في غاية الحب أما القهوة المرة فهي دلالة على البوح... وها أنت تطلبين قنينة ماء معدنية...ما يعني أن حلقك جاف تماماً من كل هذه الأشياء... جلست متكئاً على لوح الساعة المستطيل المحاذي لدكتور كيف أقرأ ريثما تتجرعين الماء على مهل... فأنت لا تحبين الشرب والأكل مشياً تقولين إن الأرض تدور حول نفسها بلا إضافات... كما أنت لا تريدين الحركة باتجاهين.. أنت مثل الأرض تماماً قرأت مثلما كتب تماماً بصعوبة بالغة (قفلت الباب لإحكام.. أخذت أتنهد.. أبحلق بالغرفة التي أعتقد أنها كرهتني مثل أي شيء كرهني...لم يعد لي سوى غربتي.. وحدتي.... حزني جلست ملتصقة بالباب.. الباب الذي مل فتحي له وإغلاقي المستمر دون حاجة..اعذرني فأنا مثلك أيها الباب صنعت من خشب

بمزاليج وأقفال ، توصد وتفتح رغماً عني.. أئن مثلك عندما تصدر صريرك المدوي الحزين ربما تفضلني قليلاً فأنت تعلن عن نفسك وتحتج بنواحك المؤذي.. فيرشونك بقطرات زيت تطري روحك. أما أنا.. مسكينة أنا.. فلا أستطيع حتى البكاء.. ليتني لم أكبر أو ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.. ليتني كنت شجرة تعضد... أنا عدت إليك أيها الباب لأتذكر حقيقة وجودي... أنت شاهدي القبوري الوحيد والشاهد على خلاصي النهائي ليتني أمووووت... وعد.

ـ آآآه يا لشقاء هذه الفتاة الصغيرة كيف عثرت على هذه الرسالة.. هل رضي عنك أبوك.. وهل سمحت لك زوجته بزيارته ؟

ـ أبداً... فعندما تركتني ليلة البارحة.. جاءني اتصال وعد..كانت تتمزق بكاء.. وسريعاً كنت إلى جانبها كانت خائفة مذعورة وعلى وجهها لطخات حمراء داكنة.. فما أن رأتني حتى تعلقت بي هادرة بالبكاء.. كان الصمت يعم المكان إلا من نشيجها لم أفهم منها سوى توسلاتها بأخذها.. انتشالها من هذا الكره المتفشي من عيني زوجة أبيها والقمع الذي تمارسه عليها ضرباً وركلاً وسحباً كبهيمة تسحب إلى منحرها:

ـ هل أخذتها معك ؟

ـ بلا تردد.. الملعونة زوجة أبي.. تعرف من الحارس قدومي لكنها جبانة خافت مني.. تخاف مجابهتي... أنت تعرف أنها تلاحقني بعينيها اللتين تدسهما خلفي في كل مكان... تذكر اتصالها الأول بي و

محاولة ابتزازي فقط لأنها كشفت طبيعة علاقتي بك... ولولا تهديدي لها بما هو أنكى لاستمرأت اللعبة.. وأكلتني حتى العظم.. في هذه البلاد المباركة يجب أن تحتمي بنفسك فقط... لن تجد من ينصفك

- أين هي الآن..؟

- عندي أعطيتها حبة منوم.. هي تحتاج الى عملية ترميم طويلة.

- هل تعرف ؟

- ماذا.. إنك زوجي الذي كتبه القدر بصحيفة من نور.. نعم تعرف... أفكر... رفع شكوى ضد زوجة أبي.

- وأنا معك... سأنصب محامياً يقوم برفع الدعوى.. ولكن.. موقف أبيك ؟

- لا تخف عليه... أبي رمى طوبتنا من زمان.. وسينحاز إلى زوجته حتماً.

- أخاف أن تتهمك.

- بك مثلاً... أنت زوجي والأوراق تثبت ذلك.

- لا نريد خلق بلبلة.. أنت تعرفين سيطلقوننا فوراً.

- لا يقدرون وزوجة أبي بالذات لا تقدر (فبلاويها) مستمسكات

وعود مستفزة للبكاء

وعد... يا ذات الستة عشر خريفا... اقذفي بكل ما لديك في اليم واتخذي طريقك في البحر سربا.. أنت أيها الدلفين الصغير... تفرغري ببؤس العالم وخطاياه... وارشقيه في وجهه القميء... كوني صامدة أمام كل انكسارات مد النقاء على سواحل عينيك وإخفاقات جزر الحزن المتواثب كحية كالحة السواد.. تلتف بين تغضنات صفحة وجهك البكر فتحيله إلى ثكنات للهموم... لن يكرر الموت ذاته كل صباح كمنبه ساعة حائطية ملعونة... هاهي وسن تضمد جراحك ببقايا جراحها تستأصل من روحها حزمة من طاقة تشغل مكنة البقاء... حتما ستعبئك بوقود المقاومة.. لن يظل تشرذمك سدا منيعا للوصول إلى عمق مأساتك... سنقولبها كبلور الثلج ونغسل بها أدران الماضي... سنمررها على حبالك الصوتية. نشدها بها ونقشر لسانك المتيبس على دفق آهات وآلام.. سيتحرك متثاقلا بوتر ربابي واحد..حزين... اليوم هو العاشر من عمر حريتك يا وعد..ولا نزال نحقنك بها على جرعات حذرة كي تستبيني حدود الأشياء وتفاصيل طبائع الأمور بعدسة مكبرة ودقيقة تشف حتى جسد الليل... ستكتشفين أنها ذات أبعاد مختلفة بمذاقات متنوعة بروائح كثيرة جدا بمناخات متعددة بسماوات وأراضين وفجاج وبروج شتى. ستدخلين عالما سحريا كعالم وورلد ديزني..

ستلاحقين بنك بنشر وتعاركين توم وجيري ستغنين كل أغنيات كاظم الساهر ولكن بفرح و أنت تبحثين عن الأميرة الصغيرة كي تقدمي لها حذاء هدية لاقترانها بأميرها الموعود.. ستروغين مطاردات بيتر بان.. ستغنين ألحان العالم لن يتناهى إليك أمر صارم بالصمت.. ستكسرين أنصال المحرمات المزعومة لله أذكر أنك تعشقين مساري وتذوبين بركي مارتن وتدوخك سيلين ديون... وسترقصين على دايدو.. قبل أن تنامي سترشحين صوتك المفضل لليلة واحدة من بين أغاني تامر حسني وشيرين وعبد المجيد عبد الله وأصالة وحسين الجسمي اليوم أنصتي جيدا لوسن فسيبهجك صوت العالم المتعدد المتنوع المتباين الآخر بلا رتوش بلا أغطية... بلا كفارات.. عالم ممتزج بكل اللغات والمعاني...لا حدود لإبداعه.. لا بل لخلقه... لتكويناته.. بمثل ما يلد الكفر.. يحبل بالطهارة..لا يكرر ذاته ولا يلبس جلبابا وبريا مشوكا واحد... ليس ثمة عزف واحد على إيقاع رخيص وممل... قريبا ستشدك من يدك للتجوال في طرقات الرياض للبحث عن الشيطان الذي هرب مؤخرا من مصحة نفسية.. وشغل بالسخرة عامل بناء ناطحات سحاب... ستعرفك على سوق الجنون الكاسد.. ذلك السوق الذي يحكمه عقلاء صامتون.. أصابعهم تتحرك فقط لتوقيعات متطابقة تماما...

فموظفو البنوك دقيقون جدا وحذرون أيضـا ؛ لأنهم حريصون على كبار العملاء. أما أنت فستغذين حسابات روحك بأرصدة واقعية.. من خلالها ستسمعين حتى الضوء. ستتشبثين بأهدابه الساحرة كحلم ، وتمشين حافية لن تضطري لخلع سوى أسمال الحزن المتلبسة فيك... ستغرقك هالة النور فهل ستطلبين المزيد... في أن تري الله مثلا... عندها لن تجربي ملكوته العلي ؛ لأنه سيزرع في عينك بوصلة تهديك إلى ما وراء الزيف... ستعرفين أن الله في كل ابتسامة صدق... في كل صوت عذب... في كل جسد جميل. ستقف بك وسن على أطراف العالم... وتحسره لك في كلمتين... أن الله هو الحياة... وما عداه زيف وضلال وهمجية انتظري يا وعد فتعاويذها لم تكتمل وسبحتها لم تنفرط بعد وفنجان قهوتها اللذيذ لم تستكنه رغوته بعد... انتظري يا وعد فاليومان القادمان حاسمان ؛ لأن ثمة فرجة أسمعها تصرصر في صدرك بدأت تنفتح.. ينقشع عنها الصدأ.. والسحر بدأ ينحل وخفافيش الماضي تخفق في أعشاشها.. سترتقين رأس العالم وتنفخين ببوق الحرية وتشرق أرضك بحقول والسوسن والجوري والياسمين والليلاب والبنفسج.. ستنسجين منها نطاقا بلون قزح ، ستبقين لله وحدة ، تشعين ببهائك على الحياة التي هي الله. لن تدعك وسن وأنت ترتقين هضاب الحقائق

حتى تفكك صمتك بغرفة طاهرة تجلوا روحك.. تفككها.. تنثرها.. تعيد تركيبها... رحلة التطهير هذه لن تلجئك إلى الأبواب المواربة لتهريب الحب.. ورسائل المحبين وهداياهم... ذكرتك.. قالت لك:

. هل تذكرين ذلك المساء المطل من جهة الرياض الشمالية بضحكة رطبة من لثغة طفولة بريئة... وأنت تلهبين حماسة السائق كي يزيد من سرعته للوصول إلى مطار الملك خالد قبل حلول موعد إقلاع رحلة عصام للدراسة في الخارج؟... تحملين له شوق حبيبته ووداعها المضمخ بأمل اللقاء...ووعود مستفزة للبكاء... أعطيته صندوق هداياها... دبدوب صغير وزجاجة عطرها... ومجموعة وقلادة ذهبية على شكل فراولة... واستلمت منه بعروق تفوح منها عذابات الوداع الأخير مجموعة سيديات وميدليا سيارته المذهبة وعطرها المفضل (سيكرت) ومضيت تخفين كحمامة أنعشتها حرية يوم مشمس وعد الموعودة بمخاضات حياة مجيدة تحملي وجهي الإيمان والكفر...منذ اليوم لن تؤولي إلى ضعة الخوف والتردد.. ستكونين شمسا مشرقة تتابك غيمات عطر اختيارية... فهل ستسلمين الروح بعد غياب إلى أختك و قلبي الذي يضخ الحياة

(وسن)... سأكون معكما أسمع وأرى.

Sms

الصباحات.. تفقد أهليتها لصنع البدايات... إذا لم تقف على أطراف أصابعها لتقبل ذقنك كل يوم

استفتاحات اللذة القادمة

حبيبتي وسن هل تذكرين.... كانت أيامنا مختزلة في يوم واحد.. بلا أرقام ولا أسماء.. مزقنا حتى التقويم الميلادي والهجري المضطرب دائما... لم تعد لنا الأيام ولا الشهور عربة نجرها فوق أكتافنا فتثخننا بتبعاتها اللامتناهية؛ بل شطرا من أغنية (لمين الهدية لفيروز) تلك التي تمرجحك أنغامها فتنتابك دوخة لذيذة تنشينها بفنجان قهوة مرة... يبيت كل ما يمر بنا في دائرة النسيان نمضغه مثل علك بطعم النعناع لاتنسين بتاتا كل صباح أن تدسي بأناملك الرطبة في فمي مكعبا صغيرا من (علوك) غندور... استفتاحا للذات القادمة.. هل تذكرين... صباح يوم الجمعة... اليوم الاستثنائي الذي دبسناه في أدمغتنا... فلم يبرحنا أبدا... كنا سمعنا حفيف أقدام تقترب منا ثم نقرات خفيفة مترددة على الباب.. وصوت همسات وعد.. تنادي:

- وسن... وسن.

كان الصوت ينساب رقراقا عذبا من حنجرة تألف الكلمات للمرة الأولى... تملصت من بين جوانحي بحركة لا تجرح دفئي... لمحتك وأنت تستديرين نحوها كانت ثمة فرحة قفزت توا إلى وجهك ولونته بغمازتيك الساحرتين.. فرحة تختلس قلبينا وتزيح أنامل

النعاس اللذيذ... كي تسكب لنا الصباح بطعم النعناع

- وعد حبيبتي.. تعالي.
- أريد شيئا آكله.
- أدخلي.. تعالي سأعد لك إفطارا سريعا.

رأيتها.. مفاجأة.. ياااااااااه كيف يصوغ الفرح كلمة الحياة... يلقيها في روعنا ، حتى تسحل وعد بقايا عذاباتها في غضون شهر كامل كدنا نفقد أهليتنا في الإقناع... وفي صباح جمعة مجيدة تشرق علينا ببيجامة وردية وسحنة خضبتها أريحية نقية.. توارت كل خطوط الحزن وعلامات الكآبة خلف ابتسامتها المخملية.. كأني أتعرف عليها للمرة الأولى..أدركت كيف أن الله يصنع معجزاته في يوم الجمعة.. إذن أصبح لدينا رقم وحيد مقدس وخالد هو الرقم سبعة.. الساعة تشير أيضا إلى السابعة... صرت أرى كل الوجوه الخطوط والأجسام والألوان..كل شيء..كل شيء على شكل رقم سبعة...حتى غمازتاك تشي برقم سبعة.. فمنهما اكتشفت أن الرقم سبعة له قدسية خاصة... الأرضون سبعة.. السماوات سبعة... الأيام سبعة الفاتحة سبعة.. وعد تحيا في اليوم السابع ضحكاتنا تتوقف عند القهقهة السابعة لتطفو فوق وجوهنا

بسكينة... ابتسامة موادعة.

كنت بدأت أستبين ملامحها تشبهك تماماً... وجهها مستدير مثلك... وعيناها سنجابيتان مثلك... وغمازتاها تتوسطان الخد مثلك ترقصان في وجهها حينما تبتسم... رأيت عذريتهما لأول مرة.. لم تفضهما قبلة بعد...ولم يطمثهما إنس ولا جان.. هذا الصباح - قلت - سنحتفل لم يعد لنا حاجة في النوم.. لن ننام... مدينة الرياض وحدها في مثل هذه الساعة السابعة من اليوم السابع تخلق من جديد...بينما الناس هاجعون... لن نفسد عليهم لذة تقلبهم في أحلام لا تتحقق... خرجنا نجوب طرقات الرياض نطوف بها كأولياء صالحين يستقبلون بواكير صباحاتهم بتبخير أضرحتهم لاستقبال حجاج الصباح المستشفعين بهم.. ها هو الرياض ، نجوب حوافه بحثاً عن مائدة الله... لم نبحث عن مستحيل... الحرية هي المائدة المقدسة للأنبياء الصغار.. في تلك اللحظة ظفرنا بمبشرات تقف على أعتاب خطواتنا الأولى المشحوذة بالفرح لخلاص (وعد) أخيييراً من براثن العذاب... ومرارة الكره.. قابلتنا هفهفة لطيفة من هواء ناعم... صافحت وجوهنا وغشيت قلوبنا الرطبة... كنا ساعتها نبرم اتفاقاً تاريخياً مع الوقت لاجتزاء ساعات منه لتطهيرها من جنبات الماضي وكآبته

المتوالية... ذاك الصباح... كانت الطرقات تغص بهدوء وسكينة... احتفالية خاصة تعزفها جوقة الرب لوعد... كم هو كريم يبارك مخلوقاته الطاهرة بمنحة مباركة كهذه قلت:

- ما رأيكم بالمشي... لتختبر وعد قدميها اللتين مضهما فراش الدنف؟

وقفنا ثلاثتنا على ناصية طريق الملك فهد ومشينا... كأن الكون خاشع منصت لتوقيعات أقدامنا على ذلك الرصيف الواسع... تسابقنا نحو جسر المشاة الذي يقطع الطريق من الأعلى إلى نصفين وقفنا في منتصفه كأننا نقطة ارتكاز ما بين الشمال والجنوب... وقفنا إلى جوار بعضنا بعضاً متلاصقين مغمضي الأعين نلوح بقلوبنا لاستقبال حزمة مغناطيسية سماوية. خامرتني أغنية تحرك بها لساني لم أكن أحفظها قبلاً.. لا أدري كيف انهمرت بأوتار مشدودة من حبالي الصوتية تفاقم الصوت فشاركتماني الغناء:

أومن أن خلف الحبّات الوادعات... تزهو جنّات

أومن أن خلف الليل العاتي الأمواج... يعلو سراج

أومن أن القلب الملقى في الأحزان... يلقى الحنان

أومن أن خلف الريح الهوجاء شفاه... تتلو الصلاه

أومن أن في صمت الكون المقفل... من يصغي لي

إني إذ ترنو عيناي للسماء... تصفو الأضواء

تعلو الألحان................... كلّي إيمان

مشينا نردده بصوت واحد حتى داهمتنا شمس الساعة العاشرة.. شرعت تحشد أشداقها بكتلة لفيح ساخن استعداداً لقذفها على أديم الأرض المتضورة دائماً من عربدة عجلات السيارات التي لا تعرف هوادة.. هذه ميزة سيئة للمدينة التي بترت أقدامها وركبت فوق عجلات تدورها مثل لعبة الروليت...مراهناتها على إنسانيتنا... حريتنا... مصيرنا دائماً خاسرة أسلمنا الضجيج الذي بدأ يعيث بأرواحنا المغمورة باحتفالية عرس صغير... إلى قرار نهائي بالعودة إلى وكرنا الصغير... حيث نستكمل هناك أهازيج زفة العروس وعد على شاب ما زال في مخاضاته يتشكل من ماء الحرية.

Sms

ليشرب العام الجديد نخبنا

نقيس نبض الكون بقبلاتنا

هل تذكرين يا حبيبتي ساعة عدنا كنا نطير حمائم أفراحنا... ندق الأرض بخطوات ثابتة.. نترنم بفرحنا... نصطاد شحوب الكون وننفث عليه آيات الفرح فتصير هباء أبيضا... نطير منه حساسين صغيرة نخلقها كي تشاركنا الغناء والرقص.. كنا نتحسس دبق أيادي الشيطان اللدنة.. نعصرها كأسفنجه غارقة بماء ووحل ليساقط منها غوايات العالم ونجاساته... ندكها كما تدك الأرض بالرقص والغناء لتهتز وتربو فتجري منها العيون وملايين الأرواح الطاهرة.. وقبل أن يرتد إلينا البصر تتكاثف سريعا صورة وعد التي تناسلت من العذاب... أبصرناها لم تعد تملك قلبا واحدا مقفرا ولا عيونا ضحلة ولا فضولا يكرسه الروتين... تصيرت مثلنا ترى الناس.. رجال... أطفال... بنات يشاغبهن ولههن... شباب يسرقون اللحظات من أبواب الوقت الخلفية..كلهم... كلهم..تراهم يتخففون من كل الأشياء الزائدة يطيرون فوق بساط علاء الدين السحري...تومض شفاههم بابتسامات... شعلة ترتعش.. وجوههم تشيأت للتو قناديل لامعة... ابتساماتهم... روائحهم.. كل شيء.. كل شيء..أصبح فطريا..حتى الشياطين تلاشت والملائكة تحضر أرواحها الطاهرة:

ـ ألا تريد أن تنام ؟

حتى سؤالك المبحوح بلذة مسكرة كان مطمئنا... نبأني..وكان بشارة إضافية مثل قالب سكر إضافي في كأس كابيتشينو.. اليوم تسمر وعد صحيفة ميلادها الجديدة على حيطان الهواء وخيوط الشمس وغلالة الليل... قطعت نهائيا طريق العودة للأضابير المذيلة بخطوط عريضة ممتقعة السود..الحياة أمامنا ووراءنا لا شيء:

- هل تعتقدين أنها تطهرت؟

سألت مترقبا بشارتك الثانية أو قالبك الثاني:

- لقد اعتذرت لها الرذيلة.. دوّنت كفاراتها في صحائف أعمالها السابقة وأحرقتها ؛ يعني خلاص لا رذيلة بعد اليوم وغدا وعد.

- هل تسمعين ؟

كانت ثمة خشخشة ترتاد المكان تتسرب مع أغنية(آنا احلويت) لنوال الزغبي كانت تصفر معها وعد بتغنج سكران... هل تذكرين كيف تسرب إلينا الصوت من عقب الباب ، فشحن عظامنا بمقاومة صغيرة للكسل... نهضنا نهش النوم العالق بأجفاننا ونتسحب إليها بخدرنا اللذيذ... كانت تجرجر حقيبة جلدية كبيرة تقلبها رأسا على عقب مفرغة كل محتوياتها.. ملابس مكدسة بلا نظام مجلات...

صور... عطورات... مساحيق... دببة صغيرة... أبواك ورقية رمتها بعيدا كانت مسجورة بمذكرات الماضي اللعين... التقطيتها بفرح تراقصت معه غمازتاك... احتفالية خلاص وعد أعادتنا أنهضت ذاكرتنا المستلقية بدعة تقلم أظفارها بأطراف أسنانها... انتبهت إلينا ونزلت من مصطبة الخمول مثلنا تماماً... ركضت تزيح من أجلنا ستارة المسرح (لنرانا) كيف تقاسمنا في ليلة واحدة الكون... وعلمنا حدوده وزواياه.. مثلنا وعد فلم يعد لاستبداد الخلق ورعونته مكان بيننا راجح ولا لغة مرجوحة.. كلها أحلناها إلى أسانيد الإفك والضلال... وأحرقناها كما تفعل وعد ومشينا أول طريقنا بأقدام غير متراخية أو وجلة.... يااااااه كم هي لحظات ولادة مختلفة من رحم العذاب... ولادة غير الولادة الأولى... بضحكة غيمت السماء وأمطرتها... الحليب السماوي شربته أجسادنا ونحن جالسون نحتسي شاياً منعشاً في ستاربكس.. هل تذكرين قلت لك مثلما تفعل وعد تلك الليلة:

ـ ستكون آخر خارطة نحرقها هذه الليلة... لا سبيل إلى العودة...

سنقف محرضين عظيمين للمستقبل لتأتي حافلته باكراً بلا

تأخير.. لأننا قررنا تيك الساعة ركوب الحافلة التي ستقلنا إليه... المستقبل نراه يقعي بانتظار مركبتنا عند حدود شمس الأصيل.. سنلوح له بأيدينا كأنه إلى جانبنا كنا نبدأ للوهلة الأولى عملية الالتصاق بالحياة ذات النكهة الطبيعية... التي تبدأ من طعم مرارة العطش وعفن الجوع كي نصبح جديرين بها أكثر مما يفترض نهيئ أرواحنا لتأملها مجردة استحلنا إلى حيوانين بريين متوحشين... نغوص في عمق جذور نباتها الشوكي بعيداً عن تكنولوجيا الدماغ التي زرعت في رؤوسنا بمؤامرة رخيصة لتحريكنا كعربات مقطورة... جلسنا قريباً.. عن كثب من أنفاسنا المتهالكة.. ننكس كل القوالب الجاهزة.. ونحن نهرش شعورنا التي بدأنا نحس أنها تنمو من جديد.. قررنا سلخ كل الأشياء القديمة التي تمتد إلى الماضي كأنابيب هواء فاسد... حتى جلودنا.. هل تذكرين يوم أدميت ذقني بموس الحلاقة جيلت..قلت:

- هذه ثكنة دماء مخابراتية مدسوسة من الماضي لذلك أرقتها.

يومها لم نترك لكل الغرباء اقتحام فرديتنا.. وبعدما اغتسلنا من اليم الساخن وقشرنا رجس الماضي مثلما تفعل وعد في ليلتها ألقينا بكل ملابسنا في أقرب صفيح زبالة. فكرياتنا الدموية لم

تعد تقبلها..بعدما أصبحنا محاربين وطنيين يطردان الغرباء عن أراضيهما... ثالوثنا الطاهر(دمنا ، روحنا ، جسدنا) هو وطننا... تخلصنا إلى الأبد مثل أي شعب مسحوق يتخلص للتو من براثن الاستعمار... أول ما تحرق أعلامه... هكذا فعلنا وفعلت أحرقنا حتى سراويلنا القديمة..كم أعادتنا احتفالية وعد وهي تراقص أغنية نوال الزغبي إلى ليلتنا التاريخية ، حيث تم وضع حجر الأساس لمجدنا أصبحت كل الأغنيات البيضاء نشيدنا الوطني. لم تعد لينا هوامش أو تفاصيل أو ضرورات أو محرمات أو مباحات دفناها جميعا... مثلما دفنا كل أشيائنا الفائضة عن الحاجة ، لم نعد نحتاجها.. كل شيء بات مشرعا من الجهات الأربع. أما السماء فأضحت لأجنحتنا تؤرجحنا ندفها البيضاء المودعة.. هل تذكرين كيف لملمنا كل متعلقات وعد المنثورة من حقيبة جلدية منتفخة الأوداج كأنها حالة تعبوية لبصقة مفاجئة... ذلك اليوم أصبحنا ثلاثة في نادي الحرية... نلعب بين كراسيه لعبة الجالس الأول... وكنا نجلس معا وننهض معا...وحدنا دون منافس... حتى نقود الماضي الورقية ملوثة أسقطناها في حجر أقرب متسولة تفترش رصيف الفقر انتظارا لرحمة الأحذية المارقة في بؤسها.. علمتنا طقوسنا اليومية أننا نقيس الوقت بحرارة أجسادنا.. بهدير

الحمامـة المفرخـة بقحـف النافـذة.... على ضحـكات الأطفال الهاربـين من كـدر المدرسـة وغل المعلمـين.... نقيس نبضـ الكون بقبلاتنـا... ووعد كانت تقف على أشعـة الضوء الذي يحمل الهباء كـي ينفح لها قبلـة تتعثر بها وتطـوووول وتطـوووول مخدرة بكل الأغنيـات الغربيـة والعربية كانت تمارس متعـة الشتات الاختياري للجسـد والروح والنفسـ... وتبديل أصابع الـروج في كل ساعة. لم يعد لديها وسادة سرير واحدة... ومكان للنوم أو الاستلقاء ثابت... بل هي تصنع حالتها..تنام في البانيو.. أو تستحم في غرفة النوم... وحتى نتف الإبطين في المرتبة الخلفية من السيارة.

Sms
تدهشني وأنت تعيد خلقي و تداهم عروقي بمفاجآتك اللذيذة.. حتى نسيان أصابعك في فمي

القمر يتحلل من قماطه

حبيبتي الحاضرة الغائبة (وسن) هل تذكرين ذلك اليوم الأرجواني... كان يوما يتوسط أيام الأسبوع مثلما تتوسطنا وعد ونحن نجلس أو نمشي... نروم مد جسور حبنا إلى قلبها الذي بدأت غشاوته تقشع... كان يوم الثلاثاء ينشطر عن مصادفة القدر الجميل ومع العدد ثلاثة.. تتطرى حنجرة وعد أضبحنا أبناء للمطلق العميق مفاجاءاتنا اللذيذة لا يلتفت إليها غيرنا.. غناء العصافير مع نهوض أول الصباح.. قبلاتها قبل أن تأوي إلى أعشاشها حتى العناكب الصغيرة استنشقت رائحتنا فألفت مقامها بيننا في خمول مندسة في سكينتها تحت لحفنا... والقطة (لولو) استلهمت طاقة الحب الفائحة من مساماتنا فتغنجت هي أيضا... لولو.. أسمتها وعد لبياض فروها... فهي عندما تتكور على نفسها بدعَة تكون مثل خرزة اللؤلؤ الكبيرة تقفز في حجورنا في رقص مفرح كأنها تضغط بأقدامها الصغيرة لوح بيانو.. تنبهنا بحضورها الدائم... تشاغلنا عن مشاكساتنا لبعضنا...خصوصا حينما تلعق خدك الأيمن وكأنها تبحث عن قالب سكر أو قطعة (كتكات) فتضحكنا بحركاتها الخبيثة..تسحبنا من لعبة الاختبار تلك التي نقوم بها أحيانا لقياس درجة حرارة دمنا... ذاك يوم الثلاثاء انتشت حيطان شقتنا الصغيرة القابعة في حي المصيف..

ثمة روائح تنثها تلك الفازات الصغيرة التي انتقيتها بألوان طيف...
يـوم مفعم برائحة لها مغناطيسـية سـاحرة.. فهمناها مباشـرة..
تعلمنـا لغة الروائح أيضـا حتى تلك التي تتضـوع مـن الجدران...
كل شـيء له رائحـة تميزه... الحب له رائحـة.. الكره... الحزن...
الفـرح.. النوايـا السـيئة... النوايا الحسـنة.. ذلك اليـوم داهمَنا
برائحـة خالصـة من عطـر الله الخالـص... بلا إضـافات إلا أنه
يسـكبها في القلـوب كمـا يصـب الماء صـبا.. طارت تلـك الرائحة
جذلا تعانق كل شـيء حتى صـدورنا التي خامرتها برودة منعشـة..
ألفينا وعد يوم الثلاثاء تجلس على (الصوفا) التركوازية المشجرة
بالعنابي.. تحفها في بهرجة طاغية.. مثل ليلة عرس... الحاضرون
فيها يتبخرون مثل السحر... يتشكلون غمامة عطرية وزعت الورود
علـى الفـازات بإتقان... بـدت كمعزوفة تتداخل فيهـا كل الألحان
وعد.. ترسـل عينيها المتأرجحتين بصـفاء تغازلنـا بما يكفي للبوح
وهي تملس على فروة (لولو) المستسـلمة بخمول تشارك وعد وجيب
خفقات قلبها وآهاته التي تتسـرب من صدرها بخدر لذيذ أيضا...
دافنة رأسـها بين أحضـان وعد..منصتة إلى هسـيس أرواح تجوب
أقنية روحها... اليوم وعد سـاكنة منصـتة باستسلام للشيء الذي

يداهمها مع صوت ماجد المهندس المخملي:

والله واحشني موت...

خاف بعدك أموت...

قلبي لو من حديد ذاب وأنت بعيد...

لو خسرتك حبيبي..

اشلون أحب من جديد

وين ألقى وفا...أو أحس بدفا...

ضلمه بعدك حياتي... كُل شي بيها اختفى

روحي يمك حبيبي...بيدك أتمنى أموت.

لم تكن كعادتها بل واجمة بلا ثرثرة بلا ضحكات صبية تفرحها عذريتها..تتوه بين كل المواعيد (وتخربط) بين الأسماء والعناوين ثم تضحك باستفزاز لذيذ وهي تقول (والله إني خبلة) هل تذكرين... كيف تسربلت بحبها شهرا كاملا أدخلتنا معها في تفاصيله الدقيقة وكل العادات الغبية..المتعة التي يجلبها الحب... مثلما منحتها استقلاليتها الكاملة حرية تميز بها الأشياء بأطراف أناملها و أحضانها... لمعرفة مقاساتها وأحجامها وتغوص في بعضها لاختبار عمقها وقدرتها على السباحة دون وجل أو ريبة... كانت قد بدأت

تلمس وجنتيها... تعرفت على خصلات شعرها... مررت يدها على جسدها تقيس أبعاده وحدوده... حتى ألوانها... أدواتها... علب مكياجها... قطعها الصغيرة.. التوكات... الشباصات.. الخواتم تفحصتها.. القلادة التي تحبها لحد الإيمان لأنها تذكرها بيوم خلاصها من براثن القمع لبستها مثل الحنث العظيم لحريتها القادمة...حتى.... حتى ملابسها الداخلية... كل شيء تهيئه لاستقبال الحبيب في إحدى الأيام كانت تقرأ رسائله التي يدندن بها جوالها بعينين صافيتين بلوريتين اتسعتا لدرجة انعكاس عبارات الحبيب عليهما قلت لها:

- ياااااابخته.

أومأت برأسها وغمازتاها تمطهما ابتسامة مركبة تركيبا مزجيا بين اللهفة والفرح علقت قائلا:

- لو كنت هو لجننت.

فانفرج وجهها عن ابتسامة كاملة... وقتها كانت أشعة الموبايل تومض وتغرق وعد مع دفء صوت الموعود بهمس تخالطة بحة عذبة وضحكات وله... تركناها تحقن قلبها بإكسير الوجود. لم نكن ننتظر أي تفسيرات أو شروح إضافية ، فعندما يبزغ الحب

يمسي كالقمر وهو يتحلل من قماطه... متمرجحاً كبندول ساعة حائطية... ثم يرتعش قليلاً كأعظم ابتسامة تحتل صفحة السماء الغارقة في سديميتها... كان الكون قد دشن ميلاداً جديداً وبدأ بالتصفيق كعادته لأي حالة حب طارئة.. لينطق بلسان معلم... مجرب مختصراً العالم والتاريخ والخليقة في حرفين (ح ب) صنعهما الله من لغته وأردفهما بحرفين آخرين ماكنين هما (ك ن) هذا الحب الذي هو لغة الله المعلم الخالد ... يلقي بظلاله الوارفة على قلب (وعد) ليعيد بعثها من جديد ... كانت بتبتل تصيخ سمعها ومنصتة إلى أحاديث الشجن ... تتلمس حرارة أنفاس الحبيب وهبي تخترق سماعة الهاتف يبعثها ... تارة مع موسيقا ناعمة أو أغان حالمة لعبد المجيد عبد الله ... منذ ذلك التاريخ الفاصل في حياتها غدت تعشق عبد المجيد عبد الله وهو الذي لم يدخل قبلاً ضمن ألبوماتها ... غدت تدمن سماعه تناوبه مع ماجد المهندس ... وعد المتعجلة دائماً تتعود الانتظار هذه من صفات الحب المتلازمة الانتظار المر القاتل الجميل ... فمنذ أن تتلاشى خيوط الشمس الأخيرة تبدأ بممارسة لعبة الانتظار ... الذي يقلب المكان من حولنا ويحيلنا إلى أشبه ما نكون بمتابعين لسباق ماراثون ... نتعاطاه بمتعة مع كل شيء حتى قهوتنا

المسائية يشاركنا فيها عبد المجيد عبد الله وماجد المهندس نشاكس انتظارهــا بمرح كــي نلهب قلقها وعينيها الزائغتــين الواجنتين فوق كل الزوايــا فترمينــا بالوســائد والتكايات محاولة إخماد ضــحكنا الهســتيري . . . وســاعة ينفد صــبرها تحلق بعينيها كفراشة تائهة بين كل الورود الجميلة يلهب مهجتها صوته فلا ينطفئ إلا مع تشقق خيــوط الصــبح الأولى . . . يكونان قد أحرقا ذؤابــة الجمل الندية والعبارات الشــجية وتحررا من فوهة بركانية كانت تنداح باللوعة.. ســكبا منها عصــيراً ممزوجاً بدماء ســاخنة حتى ضــحكاتها التي نســمعها كانــت مثــل قطعة حريريــة ذائبــة . . . المرة الأولى التي خرجــت معه بعد مراوغات واختبارات لملاءمة الأرض التي ســتقف عليها هو مســاء يــوم جمعة أراد هــذا اليوم تحديداً ليكــون موازياً ليــوم الاحتفال بخروجها من كهف أحزانها وكآبتها . . . ذلك اليوم الــذي تطهرنا فيــه جميعاً كان يوم جمعة مباركة حقّاً . . . انكشــف لنا إبــداع الخالق وروعة الخلق. . . ونزعنا ما في قلوبنا من غل لأي أحــد . . . وقدمنا طهارتنا، نورانياتنــا ، لننجلي مثل كوكبين دريين فوق هامة الرياض وتحديداً فوق جســر المشاة المعلق في طريق الملك فهد الفاصــل بين الجنوب والشــمال. فاخترنا أن نولي وجوهنا قبل الشــمال ، حيث تهب نسائم رخوة تغســل وجوهنا . . . خرجت وعد

مـع حبيبها المنتظر في وقـت كان الرياض يمســرح بداياته الباردة على ظهر عاصفة سريعة . . . وكأنه يلبس المدينة جواربها وحذاءها الـذي نسـيته مخبـأ في أدراج علوية من دولاب الفصـول . . . . يوم خرجـت أخرجتنا مـن مأزق ترددها ولهفتها برغم اغتسـالها بماء الحـب الدافـئ.. تدرك جيداً أنهـا لم تعد تلك الفتـاة التي تبهرها لعبـة إيقاع الشـباب في فخ نظرات خبيثة تنصبها مع صـديقاتها المتسـليات مخلوطة بضحكات ماجنة خلف غطاء الكريب الثقيل... تلك اللعبـة التي يحيكها الفراغ... وحالات التمرد المؤقتة المتفشـية عـبر الطرقات العامة والأسـواق الكبيرة بلصوصـية حـذرة... لم تعـد وعد تشـك بحاجتها إلى الحب . . . وضـرورة حصـول القلب على شـرايين أخرى تضـخ إليه المذاق المتفرد بروعته.. تسلخها من الحيـاة التي تفقد هويتها متى توقفت دونه مثل مدينة الرياض التي تمارس كل الفضـائل والموبقات عدا الحـب... وعد عثرت عليه بلا مواربـة أو خشـية . . . التردد فقـط يكمن في اختبار بلـوغ التجربة مداهـا الأقصـى لدرجة التوحـد... أخـيراً قررت تلك السـاعات بقلـب تتجمهر داخله كل المتناقضـات واللوعات . . . ورأس مزحوم بـكل الأفكار كانت قد دشـنت ليلتها بحيرة دارت حول نفسـها . . . ثم جلست أخيراً تفرز ملابسـها مثل فصـائل دماء... ماذا ستلبس

للحبيب الأول الأخير؟ . . . علقت أكثر من موديل وأكثر من زي لتقرر أخيراً بمشاركتك ارتداء جينز خفيف مطرز بدبية وردية وبلوزة وردية بياقة زرقاء وكمين أزرقين..كنا خرجنا معها بشكل آخر . . . باتجاهين مختلفين تلك الساعة الحاسمة من حياة وعد أصبح كل شيء قابلاً للتداول . . . خارج حدود مسؤولية . . . مجردين من الأعين المتلصصة...هكذا تدشن بدايات أي شيء عندما تخضع لمراقبة دائمة . . . ولحظة تجاهلها بكلمة طززززز التي أجريناها على ألسنتنا كرفض معبر وحاسم للابتذال في ملاحقة الناس نكون قد أكدنا حريتنا مع لعق كرات آيس كريم أمام العلن ليتحقق شعورنا بصفاقة كل المتطفلين . . . لم نعد مسؤووولين عنهم بما يوجب مداراتهم . . . حددنا خيوطاً أخرى للمسؤولية وحكنا منها ثياباً على مقاسنا . . . هل تذكرين يا حبيبتي حكمتنا القائلة (عندما تكون مسؤولاً تكون مثل حصان ملجم يدور حول ساقية بلا ماء) تجاربنا علمتنا أن الحرية هي الخيط الرفيع الفاصل بين حالتين لاثنين أحدهما مسؤول والآخر حر، أما نحن فأحرار ؛ لأن الله لن يشرك معنا أحداً يوم الحساب . . . لذلك لن نشرك أحدا في مشاعرنا أو أحاسيسنا . . . إلا من تحركت قلوبهم لجاذبية الحب . . . كما جربت وعد تلك الليلة طبيعة الاحتضان والقبلة الأولى التي

مـع حبيبها المنتظر في وقـت كان الرياض يمســرح بداياته الباردة على ظهر عاصفة سريعة . . . وكأنه يلبس المدينة جواربها وحذاءها الـذي نسـيته مخبـأ في أدراج علوية من دولاب الفصــول . . . . يوم خرجـت أخرجتنا مـن مأزق ترددها ولهفتها برغم اغتســالها بماء الحــب الدافــئ.. تدرك جيداً أنهــا لم تعد تلك الفتــاة التي تبهرها لعبــة إيقاع الشــباب في فخ نظرات خبيثة تتصــبها مع صــديقاتها المتســليات مخلوطة بضحكات ماجنة خلف غطاء الكريب الثقيل... تلك اللعبــة التي يحيكها الفراغ... وحالات التمرد المؤقتة المتفشــية عــبر الطرقات العامة والأســواق الكبيرة بلصوصـية حــذرة... لم تعــد وعد تشــك بحاجتها إلى الحب . . . وضــرورة حصــول القلب على شــرايين أخرى تضــخ إليه المذاق المتفرد بروعته.. تسلخها من الحيــاة التي تفقد هويتها متى توقفت دونه مثل مدينة الرياض التي تمارس كل الفضــائل والموبقات عدا الحــب... وعد عثرت عليه بلا مواربــة أو خشــية . . . التردد فقــط يكمن في اختبار بلــوغ التجربة مداهــا الأقصــى لدرجة التوحــد... أخــيراً قررت تلك الســاعات بقلــب تتجمهر داخله كل المتناقضــات واللوعات . . . ورأس مزحوم بــكل الأفكار كانت قد دشــنت ليلتها بحيرة دارت حول نفســها . . . ثم جلست أخيراً تفرز ملا بســها مثل فصائل دماء... ماذا ستلبس

ستدون تاريخها في شهادة ميلادها. في ركن قصي من كوفي شوب آمن حيث قعدا بعيداً عن أعين الشك والريبة ... وإن أحدقت بهما فليس سوى كلمتنا المبتذلة المعبرة التي تلقنتها وعد جيداً عن ظهر لسان وعقل مضيء ... طززززززززززززز.

Sms

هذا المساء التقينا بروح نظيفة... فهل توضأت وافترشت سجادتك... انتظر قبلتي

الاقتران السحري

حبيبتي (وسن) لا يغيب عن ناظريك يوم السبت كان يوما حامضا متكلسا... أذكر حينما رججت الأمكنة والطرقات رجا بحثا عنك... فليت كل الوجوه... أحصيت الأعين المندسة خلف نقاباتها... حتى ألوان (المناكير) التي تلمع بها الأصابع البيضاء النحيلة... كنت ليلتها..أذكرك تطلينها بلون (فوشيا) من ماركة شانييل... حتى ذلك الصباح السبتي كان اللون لا يزال مطعما بمذاقي وأنت تتمطين ببيجامتك الفيروزية الناعمة... همست بين شفتيك... حبيبتي تأخرت عن عملك... قلت بكلمة متراخية: لا أريد... وأنت تستجمعين رأسي لتوسدينه أحضانك.. كدت أستسلم لغواية ذبولك لو لم تكن وعد تنتظر قريبا من عقب الباب لتوصيلها إلى جامعتها... تركتك تتقلبين ببقايا رائحتي ومضيت...... ذلك النهار تأخر صوتك كثيرا أين كنت ؟ لقد بدأ قلبي يغص بالظنون... ويشرع أجنحة القلق... هل لأني تعودت منك حينما أتركك تعتلين عتبات مبنى عملك...و تجلسين على كرسي كاونتر استقبال المراجعين.. وتنفضين بقايا الخمول عن جسدك.. اتصالا استفتاحيا يمهد لاستقبال يوم مويوء بمفاجاءات غير سارة. وأنفاس كريهة.. صوتك يجيء بمثابة اقتران روحي مشابه تماما لاقتران (البلوتوث) ذلك الاقتران السحري الذي يخولنا ممارسة

لعبـة تبـادل الملفات مـع آخريـن في مجمـع مطاعم الفيصـلية... نصـطاد عبرها كل غرائبيات العالم وفضـائحهم مجانا... وسن.. تأخر صـوتك كثييرا... أيـن هو كي يلاعب أطراف شـحمة أذني اليمنى مثل ريشـة نعام..يكفي أنك لم تحققني همتي مع استفتاحية ذلـك اليوم بـأول كلمة تعودتها منـك (رووووحي قـل لي وش فاتني منك) لأقدم لك نشـرة مفصـلة لـكل إحداثيات الطـرق التي أمر بها حتى أصـل إلى عملي أرسـم لك مشـهدا متكاملا للازدحام... والسـيارات المرتطمة حتـى بالفراغ في الدائري الشـمالي والتوقف على اللاشـيء و بلا شـيء.. فالناس يقدمون تتمـات لنومهم الذي لم تسـعه أوقاتهـم... طرقات الصـباح المتخاذلـة تمنحهم غفوات متتابعة تعويضـية بما يشـبه خارج الدوام لموظفين منكسـرين على عتبات الديون..تلك التي أثقلت هممهم وأحكمت وثاقهم في كراسي وظائـف فارغـة أبلت أجسـادهم و طحنت أعمارهم لتكون مضـغة جاهـزة للحودهم المنظرة....لا أدري كيف تشـجرت هذه العبارات لتنسـج فصـولا للموت..عند السـاعة الواحدة ظهرا... أحسسـت بنبض بدأ يضـغط على أطرف قدمي اليمنى ثم اليسـرى... تسلق ببطء زهيد فوق عظامي ثم إلى صـدري ليعصر قلبي بلا هوادة... كان الوقـت يقفز فوق ظهري كقرد بهلوان... لا لم تكن كذلك تماما

ربما أخطأت التشبيه... بل كانت مثل أجنحة سوداء شائكة تنفرس في عيني... فلا أرى سوى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج.... ظلمات بعضها فوق بعض.... أين كنت يا وسن؟.... حتى الآخرون لا يعبؤون بلهفة سؤالي... فقط لم تحضر....أعلم أنك كنت غائبة اختياريا.. بيد أن الغياب طال بما أشعرني بالرعب اللا اختياري... حتى شقتنا الصغيرة التي تركتها تحت حراسة أحلامك... ألفيتها تلج بالخواء... تكرش رائحتك... وقبلاتك المبعثرة على مرآة التسريحة وأنت تجربين ليلة البارحة بعبث أنواع أقلام الروج... التقطت واحدة منها...استطعمتها بطرف لساني مثل كبسولة... فيتامين مقوي.. بندول مسكن... خرجت أنحر بسيارتي اللاهثة كل الطرقات المؤدية إلى أرصفتنا التي رسمنا ملامحنا على قارعتها ... حيث كنا كل مساء نعدها عدا..ونحصي ألوانها وخطوطها وتعريجها... صعلكة اختيارية... لذيذة نكسر فيها أنصال الوصايات الفجة... هذا حلال وهذا حرام..لم تكوني هناك... داهمتني كومة سوداء صارت ترافقني تحاول خنق عزيمتي... تحاصرني حلكتها باستفزاز كلما يممت وجهي صوب فضاء آخر... أين كنت يااااوسن ؟... أنت تعلمين جوعي لنبرة صوتك الصباحية... افتقاري لحلوى (تووفي) المدسوسة بلسانك ونحن ذاهبان صباحا إلى عملينا..

صـوتك والتوق وعلكة غندور... لا تسـاوي شـيئا أمام الذعر الذي
خلط كريات الدم البيضـاء بالحمراء وشتت رتابة ضربات قلبي...
الصداع الملعووون لا يبرحني لبس رأسي كقدم فيحها الركض... كل
الأشياء تتزاحم حتى الهواء اصطك في رئتي... والمسافات طوقتني
كلعبة المرايا الملعونة... لم أشأ إشراك وعد مع حالة التيه التي تلعب
بي مثل خرزة صغيرة في سبحة تسقطها أصابع عابثة بلهاء لا تمل...
توقـف أمام (دانكن دونات) هبطت من السـيارة باضـطراب ينش
مـن وقع خطواتـي... كأني انثر منها قوالب مملحة للتبخر سـريعا
وتعلق رائحتها بمساماتي كرة أخرى... لم يكن طلبي لقهوة أمريكية
معتدلة سوى استحضارا لروحك... ابتسامة صانع القهوة الفلبيني
توني الطفولية أشـعرتني بفرحة صـغيييرة... تحسستك تقفين إلى
جواري... تتاكبني أنفاسـك.. مثل عناية الله...تتناولين كأسك من
توني الجميل...وتبتسمين بشكر مغموس بالنقاء لهذا الـ توني الذي
أصـبح جزء مـن مكونات نهاراتنـا الرائعة.. ابتسـامته وهو يحكم
غلـق قهوتنا مثل إشـارة تؤكد لنا بأننا نلج صـباحا جديـدا... وأن
الشـمس المرتمية وراءنا هي شمس يوم بكر تشبك خيوطها بانتظار
مصـافحتنا وإضـفاء لونها علـى سـحنة وجوهنا وشـحن عروقنا
بدفئهـا... نسـي توني هذا المسـاء وصـنع لي كوبين مـن القهوة...

لا.. هو لم ينس..هو يبشرني بعلامة لا إرادية.. رسالة تبعث على الأمل أنني سأعثر عليك... برغم غيابك عن وكرنا السري البديع.. وبرغم جوالك المغلق منذ الصباح... وبرغم قتامة المساء وأضوائه الباهتة..وبرغم أنني لم أتلق الـ....... sms) كالعادة..فأين أنت يا!!!!! وسن ؟)

كيف أشتت مخاوفي... والشيطان الرجيم الذي رقص معنا ذات يوم ومشى إلى جانبنا بملل وخمول تشهى لممارسة مهنته القبيحة مندسّاً في أذني باستفزاز ملعون... جرجرني إلى كل الأمكنة أوقفني طويلاً أمام منزل أبيك أعلك الخوف وأمرن عيني المسهدة بغيابك على الترقب... حتى انطفأت أعين الطرقات إلا من هسهسة القطط الباحثة عن برودة تتمرغ فوقها قبل النوم... كم حسدتها وهي تتهادى بدعة لا أحد يهشها أو يحرمها أبسط حقوقها في ممارسة الحياة... أو يختطف قسراً ما تحبه حد العبادة... التيبس هكذا لم يعد سوى إهدار للوقت... هل تذكرين يا وسن... كيف فزعت لشحوبي.. وانهرت بين قدميك ساعة عدت موصوماً بفشل ذريع وسقوط فادح في العثور عليك... أو حتى معرفة أي معلومة مهما كانت قاسية ومؤلمة تنتشلني من مفازة التيه التي أخوض غمارها منذ الصباح... ساعة ضغطت زناد الإضاءة

كأنني بذلك أزيح ستارة الكون مرة أخرى.. لتعود الحياة تغمرني بمفاجأة تردم الهوة السحيقة التي حفرت في روحي... في غضون عشر ساعات كادت تودي بي إلى حافة الجنون... كأنني كنت أحلم وقتما وجدتك آخيييييراً بلهفة زاغ بصري منها حدقت بك غير مصدق وأنت تتوسطين السرير متقرفصة.. تدفنين وجهك بين ذراعيك... وحشرجة هدير يتسرب من كل أنحاء جسدك... هل تذكرين يا حبيبتي... المأساة لا تنسى... ذاكرة الموت تظل محفورة في أرواحنا... نحملها عبر جداول وجوهنا... الحزن... وقع اتفاقية هدنة معنا... تصالحنا معه منذ زمن... فكيف ينكث عهده في ساعة من نهار...كيف يخوننا اليوم... الموت.. نعم وحده الموت الذي اكتظت به روحك وأنت تهوين بجسدك بين جوانحي وصدرك يعلو ويهبط ككرة قفز وفمك المشحون بأنين وعيناك اللتان أفرجتا عن أودية من الدموع التي ظلت تذرفينها حتى ساعات الفجر وأنت تلتصقين بي... كنت إخالك قد نمت... فأتحسس صدرك لأجده ما زال ينبر بالبكاء... يااااه كيف كان وجهك متفجراً بكل ذاك الحزن والبكاء والخوف والترقب والمقت... كيف لكل هذه الألوان أن تضفي مشروعية احتلالها لوجهك الصغير بكل تلك الكلاحة...

قلت لك:

ـ تكلمي حبيبتي أسـمعيني صوتك... دعيني أحمل عنك.. ألست أنا.. قولي ماذا حدث ؟

كانت عينك تتسع علي كبركان على لا شيء قلت:

ـ النور يجهر عيني... حبيبي أطفئه.

لا تريديـن النـور ؟ الـذي كنت تغتسـلين به ليزيد روحـك لمعاناً ووجهـك نقاء... هذا النور الذي علقنـا فوقه كل الألوان.. لم نترك شـيئاً يترجم طاقته إلا وقد أحضـرناه.. زاوجناه مع كل الأصـوات والأنغام... للحب.. للرقص... حتى حينما نريد استعراض أجسادنا كان النور وحده يمنحنا خاصيته الساحرة... ماذا حصل يا وسن؟

ـ ضـحى... انتحـرت... المحاولـة الربعـة نجحت وأفضـت إلى ما تريـد... تريد أن تتخلص من دنـس الدنيا... تتطهر من عارهم... أولئـك الذين وأدوها حية ترزق.. ألقموها أصـناف الذل والهوان.. سـم زعاف... أسقوها سـمّاً زعافاً مميتاً سرى في عروقها ببطء.. لم تنتظر نهاية الحسم.. أرادت أن تكون شجاعة مثل الأبطال الذين لا يقبلون بالمهانة.. أو الاستسـلام لبراثن الأسر.. وعار الهزيمة... كل شـيء خذلها حتى أقرب الناس إليها... القاضـي الذي أصـدر

صكّاً يمنح طليقها حق حضانة أولادها.. ضرب أول مسمار صلب في نعشـها... لم تجد من يزودها بتذكرة نقية لدخول مسرح الحياة... لا أحد هنا قدم لها أوكسـجيناً لمواصلة التنفس برئة نظيفة... حتى لقمة عيشـها كانت معفرة بوحـل الإذلال.. كانت تريد أن تبقى على حياد مع كل الأشياء... حتى تلك التي أوقعت عليها شنارها... فهمت أخيراً أن (لا أحد يقدم شيئاً مجاناً) كلهم كانوا يتشهون لجسدها.. في كل قنطـرة تقتحمهـا تفقد شـيئاً منـه.. لاكتهـا كل العربات في سبيل الحصـول على وظيفة... داسـتها كل الأعين المنتظرة دورها لاقتناص فرصـتها منهـا.... كرهت حتى جسـدها... رأته النافذة الوحيدة للوصـول.. في مدينة تسـبح الله ليل نهار... وتكدس الدين في مسـتودعات الخزن الإسـتراتيجي. دخلت أكثر من دوامة قلق.. وأكثر من نفق اكتئاب... فمن يستشعر روحها المدنفة وقلبها المحطم ؟... ليس سـوى طبيبها النفسي... فهم فحوى معاناتها... حاول أن ينفح لقلبها ثيمة السـلام.. ويغرس بـذور الحب...توخى تحريكها إلى الـوراء قليلاً... ففي الوراء مأمن مـن الموت ومن الردى.. ومن الانتحار أيضـاً... حاول أن يعيد إليها جدائل طفولتها...عقدها لها بسبع ضفائر... أذكرها.. كانت تقول لي:

- وسـن صـنع لي من دموع عيني عقوداً من الياسمين... يشبكها

بين خصلات شعري... يمرجحني بعباراته اللذيذة حتى أسكر...
رآني كأنثى وحيدة كأن الله لم يخلق في عينه سواها... صرت أعشق
رائحته... حتى رائحة دخانه (الدوفي دوف). وعطره (الور)...
وطعم قهوته بتحويجته الخاصة... حتى لون أحذيته... لا أنسى
قبل خروجي من عنده إعادة ربطها بطريقتي الخاصة... كنت
أقول له أريدك أن تذكرني من قمة رأسك حتى حذائك... يآآآآآه
كيف يصنع الحب من طرف واحد جسراً من الوهم... لا يلبث أن
يتلاشى مع سطوع شمس الحقيقة... لم تقتنع ضحى أن حبها له
مجرد احتياج لرجل يفهمها... فلم تنفك من محاصرته... طاردته
حتى بيته... ذات يوم... أذكرها طرقت عليه الباب وقدمت له
هديتها وقبلته أمام زوجته... لم تعلم أنها بذلك خطت لوناً أحمر...
قطعت آخر الحبال بينها وبينه.... صارت تترصد له في عيادته..
في المستشفى... داهمته حتى الطرقات المزدحمة... غير عناوينه
كلها... سكنه... عيادته... عمله... لم تكف عن التنقيب... ذات
يوم هددت بالانتحار إن لم يمثل لأمرها بالحضور حالاً... تجهزت
للموت... قربت إليها ساعتها فما أن تخطت الساعة منتصف
الليل حتى تناولت مشطاً كاملاً لمضاد حيوي عالي التأثير... كادت
تموت فوراً لولا أن تداركتها عناية الله.. وفي مرات متواليات كانت

تنجو بصعوبة بالغة... كل شيء أمسى باهتاً بلا معنى.. حاصرتها الفاقة.. حتى جسدها لم يكن كفئاً لتقديمه ثمناً للقمة عيش ملوث...الموت وحده يسجل حضوره في الصفوف الأمامية... أولئك الرجال الذين يأتون عقب كل محاولة من رجال الشرطة أو الهيئة يصيبونها بالقرف... يعيدونها إلى حقارات الحياة... ويقربونها إلى الموت زلفى... كيف يسألون الميت لماذا تموت وكيف تموت... لماذا لا يسألونه متى تموت حتى يدونوا ميلاد نهايتها... ويعدوا لها حنوطها وكفنها.. ها هي ماتت... لا قتلت.. وئدت... من يقتص ؟ من يعيد لها اعتبارها حبيبي أرجوووك أرجوووووك..احضني أريد أن أتحسسك بكل حزني... أتذوقك مع كل دموعي... أنا أرتجف خائفة... هل أنت معي أم أنت طيف وأنا في غيابة كابووووس ؟.. ليته كابوس أفيق منه... وأطرده بفنجان قهوة مرة... يااااااا ألله يا وسن... كيف تفجرت روحك عن كل تلك الوحشة... كيف كنت سأعيدك إلى طعم التويكس والتوفي وغندور وتوني وقهوته الوسط... وجسر المشاة المعلق الذي يفصل الرياض إلى جنوب وشمال ؛ لننتقل منه إلى الحيز الأكثر وضاءً... كيف سأمرن قدميك على عد بلاطات رصيف شارع التحلية... كيف..كيف... ؟

هل تذكرين.. كيف سرح بصرك في تلافيف دخان رصاصي

تجدلينه من سجائر (دوفي دوف)...ذاك الذي كنت (تلطشينه) من حقيبة ضحى... كي تجرديها من رائحة حبيبها أفهم أنك كنت تلبسين كفنها وتؤبنينها على طريقتك الخاصة... حتى شعرك عقصته من الأمام والخلف مثلما كانت تفعل بطريقتها المميزة... كنت تتصلبين أمام المرآة تتلمسين وجهها في تغضنات الحزن المخيم في وجهك... لقد بدا شبيهاً بشحوب الأزقة المهجورة... كنت أراك تنشرين بقايا روحك الرطبة على حبال الأسى... داخل ظلام دامس... تحمضين صور الماضي... وحكاياته في كل ساعة تطبعين وجهاً لضحى إلى آخرها ذلك الذي كنا نراه مطعوناً باليأس... كانت طعنات الأيام شرسة... أشد إيلاماً وأقسى اجتراء وافتراساً من حدود الأسنة والرماح... كانت قد أوصدت كل الأبواب والنوافذ سوى الثغرة الوحيدة والأخيرة التي ستنظرها على قيد الحياة.. وهي طبيبها...على الرغم من أن وجهها كان يحمل نعشها ويؤبنها قبل أن تموووت بأيام.... كنا ننقل عزاءها حتى في أحاديثنا الهامشية... في عبثنا... في مشينا نريد أن ننسى... قلت لك بصوت مرتفع وسط اصطفاف الكراسي في مطعم (ستيك هاوس) نريد أن ننسى... لم يحدث شيء... ولن يحدث... حبيبتي وسن... ها أنت تعبين حزنك مع لفافات السجائر هل كنت تبتغين

معاقبتـي... كانت فاجعتنا جميعاً... حتى وعد تلك المنشـطرة على حبيبها بخفة كحبوب (البوب كورن...) التأمت أيضـاً على حزن... احتقنت به عيناها وبكت وأبكت حبيبها... ياااااه كيف كانت فاجعة غيابها ممضة وحارقة... أحرقت كل أوراقنا التي دونا فيها معاهدة خلاصنا صـرنا نلذع ألسـنتنا بالدخان...والقهوة السوداء...كنت ترومـين النـار والمـرارة تتطهرين بهما مـن ذنوبك التـي اقترفتها بأنانية فجة بحق ضحى تقولين بنسيج يمزق أوصال القلب:

. لـو كنت إلى جانبها في الفترة الأخيرة لما انتحرت... طلبتها أكثر من مـرة أن تبيت عنـدي... لكنها تأبـى... متوهمة قـدوم حبيبها المنتظـر... كانـت تسـمع خطواته تقـرع بلاطات الممـر.. وحفيف رائحته يباغت أنفها... ونحنحته تسـقط في أذنها لتهب إلى عدسة الباب السـحرية متطلعة إلى قدومه... طال انتظاره وكنت أنا أوقظ بهـا نكهة الحياة التي تكاد تنسـل من بين أيدينـا كخيوط ذائبة... لنلتقي أخيراً بإرادتين ننام تاركين كل شيء يمور من حولنا بفوضى تعكـس مـا سـقط وتبعـثر داخلنا...أعقاب سـجائر مكومـة داخل المنفضة وبقايا البيتزا هوت كأننا كنا نكفر عن موبقات العالم كنت ألحفك جسـدي... أتابع عربة الحزن في دمائك... أغرق جسـدك الـذي قد آل إلى طيف بدفئي كنت أخشـى عليك مـن الانزلاق إلى

الفوهة الموصلة إلى القطب المتجمد من روحك في كل صباح وأنت تجتلين على حزنك أمرر أصابعي على معالم وجهك... أبدأ من جبينك.. إلى حاجبيك.. ثم وجنتيك... مروراً بشفتيك.. غارساً طرف سبابتي بين ثناياك أتحسس ينبوع رضابك فألفيه يابساً.. أواصل رسم ملامحك.. أدور أصابعي حول وجهك جاعلاً من ذقنك علامة ارتكاز... ثمة انحدارات حادة شكلتها تكوينات الأسى والفراق القاسي حتى اللون الباهت الذي بدأ يرين على سحنتك أتحسسه بأطراف أناملي.... كدت ووعد مثلي نسلم قيادنا طواعية لفم المأساة.. فكرنا كيف نسحبك من قاع حزنك الذي يغمرك بسواد مياهه الآسنة هل تذكرين يا حبيبتي... كم كان الله بنا رحيماً وكريماً!!... فمن أسفل غيمة سوداء تبزغ شمس دافئة.. كانت عبارتك الوحيدة الصافية النقية التي انبعثت من حلقك ذلك الصباح.. مثل لهيب نار تتقد تحت كومة فحم.. هل تذكرين تلك العبارة التي تدخل لأول مرة ناموس الكون... كانت سماء الرياض على غير عادتها تجرجر أطناناً من السحاب... ورائحة المطر القادم يداعب الأنوف إيذاناً بهطول عميم... سمعت نبرة صوتك

واضحة... لا لبس فيها... قلت:

ـ أريد أن أهطل.

كنت تتابعين همسك مفضية لي بسر لا أعرفه:

ـ حبيبـي... أنـت لا تعلـم أن مـزاج جسـدي المتصـحر مرتبط بالسماء... ثمة ما يحرضه لدفق أنهاره الآن.

يـاااااااه يـا حبيبتي... كانت همسـاتك تغشـاني مثل عبارات وحي اهتزت لها جوانحي وربت منها روحي قلت لك مدوزناً همسـي بنفس نبرة صوتك المتقد لهفة:

ـ أما أنا فمزاج جسـدي مرتبط بأديمك مباشرة..فهو المحرض الأول والآخر له.

كنـت أسـتعيد خارطـة جسـدك المفقـودة... أفتش فيـه عـن عناوينــه... أسـمائه.. أزقتـه... منحدراته... أقبيتـه... أنقب عن أسـلحته وذخائـره... لقـد أحصـيتها جيـداً... وأعـدت ترتيبهـا وفرزهـا... كأنها مدينة قد غادرها الإعصـار توّاً... وكانت مهمتي صعبة جدّاً... بيد أنها لا تحتمل التأجيل أو الإبطاء... أعدت خلالها لونك.. وأنبت شـعرك... وأعدت تخليق عجينتك... ونفحتك شيئاً من أضـلاعي كي تقومي عـوج أيامك الخـوالي... نفخت فيك من

روحي... وجعلتك أنثى سوية... ذلك الصباح أحسسنا برغبتنا للعودة لوطننا... الوطن الذي يركب الآن باخرة المطر ويخوض عباب السحاب فيمطرنا... ولكي نكمل عدة التكوين أشعلنا خلايانا بأغنية فيروزية هادرة:

من يوم التكون يا وطني الموج كنا سوى
ليوم البيعتق يا وطني الغيم رح نبقى سوى
تاجك من القمح تمنيتلك السلام
و شعبك بيحبك لتبرد الشمس و توقف الإيام
عا رماد اللي راحوا عا خاتم الزمان
على حجار السود اللي بقيو من الحيطان
عا منديلك إمي عا بواب البيوت
عم بكتب يا وطني الوطن ما بيموت
و أنت أنت من يوم اللي كنت أنت
رسمتك سنابل شهدا و حمام
رسمتك يا وطني وطن السلام
من إيدين الفقرا و شباك الصيادين جايي الحريي
و من الشمس المحفورة بعيون المظلومين جايي الحريي
و من الحق الضايع إلا من الشوارع

من شهدا الأرض الماتوا للأرض وجوهن منسيي

جايي النصر و جايي الحريي

يــأ!!!!!!!!!!اه يا وســن كم كنت وقتهــا تشرئبين للحيــاة... منذ اللحظة التي بدأت فيها تستأنسين لذة النوم الذي شرع يقلدك وسام براءة...براءة طفولية... صار يهدهدك بين أحضانه مثيرا رغباتك للحيــاة من نوافذ الحلم التي سيكسر لك مزاليجها الصدئة وترين مالا عين رأت...

Sms

فرصتنــا حبيبي أن نتمنى الآن.. والسمــاء تمطر... عجل أرسل كل أمنياتنــا... دعها تبرم اتفاقا مع الغيث... وعد سريعا فبقاياك لا تزال هنا.

ليش بنتلفت خايفين

يا ولهـي ومذاق العذوبـة المنطبعة في كل الحيطـان حتى الهواء السارح من حولي هذا الصباح... يا وسني الحاضر في رائحة قهوتي الصـباحية.. الماثلة في صوت فيروز.. في أسئلتها التي تشطرني إلى نصفين:

سألتك حبيبي... لوين رايحين؟

خلينا خلينا... وتسبأنا سنين!

ازا كنا عا طول... التأينا عاطول

ليش بنتلفت خايفين؟!

أنا كل ما بشوفك... كأني بشوفك...

لأول مرة حبيبي!

أنا كل ما تودعنا... كأنا تودعنا...

لآخر مرة حبيبي!

ألي حكيلي... نحنا مين؟

وليش بنتلفت خايفين؟

ومن مين خايفين؟

سألتك حبيبي...لوين رايحين!

خلينا خلينا... وتسبأنا سنين!!!

ازا كنا عا طول.. التأينا عاطول

ليش بنتلفت خايفين؟

موعدنا بكرة... وشو تأخر بكرة...

أولك مش جاي حبيبي؟!

عم شوفك بالساعة !.. بتكات الساعة !..

من المدى جاي حبيبي!

ويا دنيي شتي وياسنين

علّي تلاؤوا ومش عارفين!

ومن مين خايفين؟

من مييييين؟

فيدنو هذا الحزن العميق مفترشـاً قلبي بفقدك المر وأنا أرتشف بواكير قهوتنا المرة (illy) تلك التي تورطنا بمذاقها الصعب... بوصية صديق طقوسنا النهارية (توني) فمنذ التقطناها من الرف المخصـص للقهوة في أسـواق التميمي.. وهي تحاصصـنا شـهوتنا للحياة.. واليوم تحاصصـني انفرادي بتلبس كامل بأغنية فيروز.. سألتك حبيبي لوين رايحين... يتمايل صوتها وأترنح بألم وحسرة.. هذه الأغنية تصـر على حضـورها منفردة.. لا تبرح تغرس أنصال غربتهـا ووحشـتها.. تخلـق لي وجهـك بحالاتـك كلهـا.. بألوانه.. بمذاقاته ونكهاته... تفشي رائحة عطرك حتى تسكرني... فأسقط

أعب من كأس الوجد ورحيق المعاناة السـامة... ذاك الماضي يتمدد أمامي كلبوة تتحسـس الجوع بلعابها، للتو أراه يتسع كفم حوووت... هل تذكرين يا حبيبتي كيف قدحت شرارة الأسى في قلبينا المرتعشين دائماً بإحماء مسـتفز للحـب... كان ذلك اليوم يسـجل تاريخه في روزنامة حياتنا التي انتصـبت مثل اللعنة بسفور طاغ... كان إجابة محددة ودقيقة وصـارمة على كل أسئلة فيروز الواردة أعلاه... كان ذاك المسـاء يحيك كفنا على مقاس دوختنا ونحن نرتشف شفاهنا كفناجـين قهـوة.. لم نكـن نتحـين موعـداً محـدداً لإيـاب وعد... وكنـا كذلك سـاعة اهتز الصـفر منجباً كل الأرقـام الكبيرة كلعبة اليانصيب تأخرت وعد... الساعة تشير إلى الواحدة... لم تعد منذ الصـباح... كنت تقولين وأنت تفركين أناملـك وتملئين لوحة أرقام جوالك بكل الأرقام ذات الصلة القريبة والبعيدة:

على الأقل تتصل.. أكيد حصل لها مكروه..

وهـذا الأكيد هـو ذاته مـا توصـلنا إليه عقـب السـاعة الثانية صـباحاً... دلقتـه زوجة أبيك بلعنـات كالسـكاكين اخترقت أذنك حينما قالت:

- تبحثـين عـن وعـد... اسـألي أخـاك الـذي يبحث عنـك أنت

لقتلك... سـأتخلص منك للأبد لقد بليتنا بعار اسـتهتارك... أين أنـت ؟..هــاه... هاربة مع مــن ؟... الحمد لله أن عثرنــا على وعد قبل فوات الأوان..حتى لو كان في سـجن هيئة الأمر بالمعروف.. لقد اعترفت بكل شـيء..ونالت ما تستحق من عذاب.. كادت تهلك بين يديـه... لولا بقايــا رأفة أكنه لها وهي التي سـتدلنا على مكانك... ثـم تعالي.. قولي لي من هو هذا السـامر الذي تتسـكعين معه دون رقيب وحسـيب...الحمد لله أننا لحقنا على وعد قبل أن تقع الفأس في الرأسـ.. أما أنت فانتظري قدرك الأسـود يا... لقد جاء أخوك مخصوص...ليغسل عارنا منك...كم كنت أنتظر هذا اليوم... وها هو.. الآن أراك أمام عيني ميتة.. ميتة..ميتة..

زحفت كل الأشـياء من حولنا كأياد طويلة تروم خنقنا...لم تعد نبـوءة فيروز تقـدح زناد مقاومتنا للحيرة والتشـتت اللتين شـكمتا عروقنا بمقابض حديدية...

سألتك حبيبي...لوين رايحين !...

خلينا خلينا... وتسبأنا سنين!!!....

ازا كنا عا طول.. التأينا...عاطول...

ليش بنتلفت خايفين؟

إلى أيــن... هل سـنفر من وجه الطاغوت مـرة أخرى.. أم نقف مثـل نخلـة تأبى الترحيـل أو النقل مـن تربتها قلت لـك وأنا أطوق روحك المبعثرة:

ـ لا تخـافي ولا تحـزني إن الله معنا.. عقد زواجنا سـيجل عقدة المشنقة التي تنصب لنا الآن..لن أسمح لهم باقتلاعك مني.

قلت:

ـ هذا العقد لا يفي بقائمة المتطلبات... كي نصبح كاملي الأهلية.. حتمـا سـينتزعونني منـك... لنهـرب حبيبـي... سـتتكالب الدنيا علينا... سـيحكم القاضـي فورا بفصـلنا ويوقع عليه بحبر بارد... وهو لا يدري أنه سيقتلنا صبرا بدم بارد...

هل تذكرين حبيبتي.. بتنا بالجـي الأعين مثل محكوم بالإعدام ينتظـر جـلاده كي ينفذ فيه ما خـط في حيثيات الحكـم... التأمنا بجسدينا نتغذى منهما عبر توترات قبلة وداع طويلة لم نشأ تسميتها الأخيييرة...بانتظار سـاعة الحسـم... كانت تلك الليلة مشـهودة بـك... هكـذا قررنا... أن نمسـح سـبورة الأتـي من مسـتقبلنا... بشـقاوة تلميـذ مـل الأسـئلة والشـروحات المطولة.. فقط خشـعنا نحتفل برائحة الندى المتضـوع من جسـدينا... كان العصفور الذي

يضــرب بجناحيه الصــغيرين مذعورا...لم يحلــق.. لم يغرد... لم ينقر أغصانك بحثا عن لذة موؤدة..وهل يمارينا الخوف لنستمريه هكذا نبع ســؤالك كماء زمزم الذي ســح من تحت قدمي الرضــيع العطشــان.. كنت تحاولين قدح زنادي من جديد... هل أحتمل هذا الانتظار.. لم نستشــعر ليلة راعفة بالرعب مثلها.. وإن كان ليكنَ.. لن أتركك.. ســأمووووت دونك...ســنحارب.. ليلقي الله سنته قليلا أو يوقظ ملائكته كي تغشــانا بنفحــة طمأنينة... قلت أنت ملاكي.. لحفنــي بكلك.. هل لم أعد كلك.. لا تتزحزحــي إذن... يااااه كيف تــؤرخ الكلمــات حكمتها في لوحها المحفوظ..ســاعتها تضــمخ قلبي ببواكــير رووووحك الشــفيفة... فهدرت منها كل مفاصــلي.. ونتحت من مســاماتي رائحتك.. أمطرنــا ورودا و تفجرنا ينابيع..وســالت أنهــارا.. وغرد العصــفور بانتشــاء.. ليس إلاك يمطــرني... يفجر رعودي... ويشــرخ ســمائي ببروق لامعة كالنياشــين... ارتشفنا كل شيء فينا.. حتى ســلافة المتعة الصهباء المستكنة بين حلمة أذنيك وأنا أوشوش لك..قلت بنبرة اشتهاء متكسرة:

- ســتظل أبــدا مكمن اشــتهائي.. وســر لذتــي... لــن أبرحك حتى النفس الأخير منك سأنتظرك أبدا على ناصية زقاقنا الذي عبدناه بالوجد.. أنا متسكعتك الوحيدة وأنت صعلوكي الأخير... ألن نشرب

نخب الحياة.. الضاربة فينا منذ أبينا آدم.. وأمنا حواء... فلا يفهم لغز توحدنا في كل وانشطارنا في كل أيضاً سواهما.. لأنهما الوحيدان اللذان جربا ما تفردنا به خلسة..

وسن الحبيبة سأكون لك ما يلمع وسط غابة من القش.. حتى وإن كنت فأنا أبصرك بأطراف شراييني موترة بالآتي المعلوم... قلت لك همساً: دعينا لا نوار جنحتنا دعي ضفيرتك المعقودة على شكل زنبقة تشهد مقامنا الأبدي... فهي لا غير ستدون تاريخنا الضاري...كما ستختزل المسافة الفاصلة ما بين قشعريرة الخوف ورعشة الحب للتلاقي... حملنا شغاف قلوبنا بين رموشنا.. نعبد بها بقية الساعات القادمة باستفزاز... توسلت لك أن تنسي قلت لك: لنتشهى إلينا...لنطأ أي قدر يصوغه الوقت المأزوم بتؤدة.... يااااه يا لأنفاسك الرطبة يا لدموعك الساخنة كم ألهبت صدري... وصوتك المتهدج وأنت تطلقين عبارة احتجاج عريضة: نحن لم نأكل التفاحة المحرمة... لم نهرب صرخة اللذة من جسد الحرام... نحن زوجان مباركان... قلت: من يفهم..كل ما لدينا ورقة مغموسة بحبر لن يعيروه بقية اهتمام...لن يروا كم أرقنا من لوعات وكدسنا من كلمات وطوينا ترقبنا عبر كل محطات الانتظار... قلت لك: وسن حبيبتي لننس...اطلبي المزيد مني حتى الرمق الأخير مني

وستجدينني الملاذ الظليل الممتد من شجرة الاشتهاء إلى أخمص أصابع المتعة من قدمك اليمنى... ثقي بي تماااماً... كما أسلمتك عصب جسدي سأقدم رووحي... حتى... كدت أبتلع أناملك الرقيقة كطرف سهم وأنت تضعينها على شفة الكلمات المحمصة بزيت التعبئة الكاملة لمواجهة الغد... قلت:

- حبيبي.. مهما سحلوا وجهي من أمامك... وانتزعوا عروقي الناشبة في شرايينك... سأقعي عند أي محطة انتظار مقابلة لنافذة روحك سأنتظر لن أتزحزح... سر بجسدك حافياً نحوي ودع عصفورك ينغم فرحه... ولا يلتفتن إليك أحدٌ ..

حبيبتي وسن.. يالذاااك الفجر الذي دلف يبلل أنفاس الصبح بندانا... كأننا كنا نتواعد للمرة الأولى... نفتض قبلاتنا البكر... كانت بمذاقاتنا كلها... رحيق أسكرنا... بلا انتظار لما سيأتي من بوابة الصبح... سحنا كل المشاعر الرديئة... خلعناها من رؤوسنا مع آخر قطعة تسترنا... امتزجنا كقالب سكر في قهوة اكسبرسو مرة... ورحنا نتحسس آخر مذاقاتنا... سلافاتنا... كنا نسكب أرواحنا في كبسولة واحدة... نخبئها إلى حين موعد بدأنا ندونه في أجندتنا... لا أدري كيف تلاشيت.... تبخرت... هل كنت أحلم...

هل كنت معتوها عاد إليه رشده... أو مخمورا أفاق توا من سكره... لا أدري كانت آخر كلمة أسمعها منك...أن حكيت لي مشهد ولادتك قلت:

. كانت أمي تتمنى لو كنت صبيا... تفحصتني وأنا أمر من المضيق المؤدي للحياة بالعلامة الفارقة للبهجة.... كانت تلوي عنقها برغم الإجهاد الشديد التي تمر به... والعرق الذي يغرقها تتفقد ذاك الشيء الذي سيهتز معلنا أهميتي... لم أذكر أني بكيت... هل بكيت لعلني ربما نسيت... كم أشفقت على تلك المسكينة المنتظرة لذكر... لم أكن تلك المطرقة المنتظرة التي ستهد بها الزمن.. كانت تلعنني حتى ولادة أخي الذي تولى إدارة اللعنات نيابة عنها...كنت ووعد نمثل بين يديه كقطتين أليفتين...قد تمرسنا على امتصاص غضبه..أحيانا نضرب رؤوسنا بالحائط نيابة عنه... كي يغفل عنا...هذا الغائب المنتظر لسحقي... لن يأبه لموتي بين يديه... ومن الحكمة ألا أموت... فهذا سيريحه إلى الأبد...سأذهب إليه مشيا أحمل كفني.. أريد أن أبقى لك حتى لو قشروا جلدي... فروحي معك... سكتِ... وسكت... لعلنا أخذتنا سنة المحاربين... فمررنا من أعقاب الصبح الذي انتزعك من بين أحضاني متخففين... لا أدري كيف تركتك ترحلين...لا أدري... لا أدري... ربما لأنك

تريدين أن تحيي لي و بي... ولأني لا أريد لك مقارعة الطغيان.. أو أن يمسك شيء من العذاب تركتك... تتبخرين كحلم.

Sms

حبيبي...سأكون قريبة.. عند أولى عتبات الناصية التي تصلني بك... فانتظرني هناك بلا تلفت... سأكونها الواقف بنصف حيرة علـى شرفة الترقـب... لخطواتـك المتدحرجة نحـوي... سأمسك بمعصم قلبك لنكمل مسيرتنا بلا تلفت... لك و حدك أسمع وأرى.. فلا تحزن... إن الله معنا انتظرني... لا تقلق... سأبعث لك....

الأماكن: للغرباء.. وللأحزان أيضاً

ودي أبكـي... نسـيت أني منذ رحيلـك وأنا أبكي... يـاااااه....
الأماكن اسـتنزفت صـهاريج دموعي.. صـفت دمي تماما... والله
ودي أبكـي.. حتما تعرفين أنني أقتات من أرواح الناس معان للبقاء
ومعـان أخرى للفناء... تبقى الأماكن وحدها الحبال السـرية التي
تضـبط إيقـاع الوقت كـي لا تنزلق قدمي إلى منحـدر وعر يقودني
للنهاية..يكفينـي وعـدك بالاحتباسـ لي وحـدي... ياااالروحـك
العظيمة....اليوم رأيتها تطوف بي (لفته وطيف ابتسـامه مثل فجر
خجـول).. ندمت كثـيرا أنني لم أهـرب بعض قصاصـاتي إليك..
أنـا أملك كل بقاياك.. وضـعتها في أماكنهـا الطبيعية... أنثرها في
الليـل وأرتبهـا في الصـباح... أرسـم قبلتك الصـباحية على مرآة
التسريحة.. أمرر وجهي على كل أرصفتنا... مراسينا التي تتوزعها
مقاهي شـارع التحلية بسواسية..كم لوعني محمد عبده وهو ينشج
بصوته الحزين بدمعة ناشبة في عينه اليمنى:

الأماكن كلها مشتاقه لك!
والعيون اللي انرسم فيها خيالك
والحنين اللي سرى بروحي وجالك
ماهو بس أنا حبيبي...
كل شئ حولي يذكرني بشئ

حتى صوتي وضحكتي لك فيها شئ

لو تغيب الدنيا عمرك ماتغيب

شوف حالي آه من تطري علي

المشاعر في غيابك.. ذاب فيها كل صوت

والليالي من عذابك.. عذبت فيني السكوت

وصرت خايف لا تجيني لحظه يذبل فيها قلبي وكل أوراقي تموت

وآه آه آه... لو تدري حبيبي كيف أيامي بدونك تسرق العمر وتفوت

وآه آه آه... الأمان وين الأمان؟؟؟ وأنا قلبي من رحلت ماعرف طعم الأمان

ليه كل ماجيت أسال هالمكان اسمع الماضي يقول:

ماهو بس أنا حبيبي

الأماكن اللي مريت أنت فيها... عايشه بروحي وا بيها.. بس لكن مالقيتك

جيت قبل العطر يبرد... قبل حتى يذوب في صمتي الكلام

وأحتريتك

لا أنـام حتـى أغطس في وحل البـكاء المر..ليسـن لي من هزائم سـواك... لقد اكتشـفت خـوري وهزالي أمـام استسـلامك... لم أهربك إلى جزيرة نائية... ألجمتني حينما قلت باستسلام:

. أريد أن أبقى لك.. لأني سأعود حتماً في النهاية إليك.

حـزني عميق..حفـرت أخاديده وتفجرت ينابيعـه منذ رحلت.. أصـبحت بعـدك غابـة معروشـة بأشـجار زقوميـة... بعدما كنت تخلقـين لي كل صباح فراشـات من القبـل... اليـوم أتيبس داخل إطـار لا أبرحه.. حتى ملابسـي التـي توقفت عليهـا عينك في آخر لحظـات الوداع لا أخلعهـا... فكرت مليـوووون مـرة ولا أزال كيف أصـلك قولي لي ما هي الطرق التي تقربني من أنفاسك... حتى لو كانت طويلة.. ووعرة.. فسأمشـي إليك حافياً... أكفر عن خطيئتي برحلة حج طويلة تصـلني بالنهاية إلى مشـارف رموشـك... بدأت أفهـم أن عالمنـا حـذاء قذر كبير يدهـك كل ما يمر بـه... لذلك لا يجب علي الانتظار والتخشب في مكان واحد..كنا مشغولين بتصنيع قلـب على مقاس العالم.. لم نكن نبصـر كيف يقعي البشـر هنا في خمول وكسل واستسـلام يربطون حذاء العالم القميء... لا يسعني

عما يخصك... لن أكون مثل كلب بوليسي يجر أنفه خلفك... لأن قدري مدسوس في حقيبتك اليدوية الصغيرة... تحملينه معك أنى اتجهت... حتى وإن صار مثل عوسج قديم يكفي أن تتلمسيه بروحك لينمو بفراعة شجرة عتيدة... تدرين ياااا وسني يمكن.. أقول يمكن.. لو بطأت الرحيل... لما حدث كل ما توقعناه... ولتخففنا من رزم جراحاتنا.. ها هي صورتك التي كبرتها على مقاسك تماماً... تناجيني تغسل جنبات روحي التي أحسها تنفطر... لا بل تنشلع... عندما أراك أحس أنني أعود إلى شكل الحياة....

تدرين....:قبلك كانت لغة الموت تعادل الحياة ومعك الحياة تعادل الحياة وبعدك الحياة تعادل الموت... منذ رحلت وأنا أحيا بشخوص أخلقها.. أمسرحها ثم أنزلها لتتناول معي(الفاهيتا) وجبة غدائي... اللقمة الوحيدة التي أضعها في فمي يومياً... فقط لأنها العادة الوحيدة التي لا تقبل التنازل أو المقايضة...

سأكون... أنا.... كما عهدت صعلوكك.. مجنونك.. بكل الغرائب والمتناقضات تدرين حبيبتي...سأكشف لك سرّاً.. بعد رحيلك اتخذت قراراً بالعودة إلى طفولتي...كي أمعن في صدودي عن أي إغراء أنثوي..استخدمت بقايا القلب... والجأ بوابة الماضي

الخلفية عدت إلى بنت الجيران (عزيزة) أفقت تلميذاً في الصف الخامس الابتدائي... الوقت عصراً وخدي ملتصق بالأرض.أراوغ بعيني الخبيثتين سروالها الأخضر المخروم باحثاً عن كتلة صغيرة تشبه قنديلاً بحرياً، فتثير ألف سؤال مشذب ينحر دماغي.. أغرق بملح عرقي وأهطل توقاً للقائها صباحاً، أناكبها وهي رائحة إلى المدرسة أو راجعة منها هذه اللذة الفطرية الأولى... استكملت غرس بذورها في جسدي الصغير لأغدو معك متحفزاً لكل مفاجآتك اللذيذة... حبيبتي أنا الآن أرتعش.. أطرافي باردة....أسمعك تنادين... صورتك تنطق..تدووووخني.. تناديني حبيبي..حبيبي: ملعونة.. ملعونة.... ملعونة.....كل الساعات التي تلبسنا قحفية الرجل المسؤول... فلن أكون هو... سأظل التلميذ المتلصص.... بعدك كل شيء يتوقف لن أكون مثل ذاك الموظف النشيط يهرول بين المكاتب لإنجاز المعاملات المتأخرة... زوج امرأة تنام طويلاً.... وأطفال تناسلوا من ذعره....جملتك الأخيرة ألجمتني (سأكووون لك وحدك.. انتظرني سأعود) يا....اه اه اه اه اه... حريقٌ أحسه يجوب أزقة قلبي باحثاً عن شريان لم يحترق بعدك... تدرين يا قلبي... صرت أمرن جسدي على الحياة كي لا ينكمش...أصب عليه زيتاً متقداً... ألف حوله يدي لأتحسسني مثل شجرة أغصانها لم

تجف بعـد.. تدرين.... الغيـاب مووووووجـع جدّاً....مووووجع جدّاً
والله مثل آشـواك.. لا أشد...قضيب يكاد ينصهر بالنار..لا أشد..
أنياب فتاكة.. آشـد... وجع يتحرك مع النبض باسـتفزاز وشراهة
عـبر كل الأوردة والشـرايين وحتى خلايا المخ... دفقـات أليمة حد
الإغماء لا تنتهي...معك كنت أسـجر أطرافي لأتحسـس رغوتها...
أكشـف لك بئـراً لا يزال يخبئ ماءه... طفقـت تنتابني هواجس...
أسـئلة لم أفطن لها إلا مع هـذا الخواء..من أين جئت لي أنت؟...
أخبريني سـأعترف... لك بشيء....اتصـالك الأول شـق نواتي...
أحدث صدعاً.... عميقاً تسلل منه نور أسود...هل ثمة نور أسود...
هل رأيت نوراً أسـود قط؟ أنا رأيته ينسل من جسدي...هل تعرفين
مـا هو؟ أو كيـف أتى؟!!!!.. أقول لك... هذا النور الأسـود هو قيح
الشـفاء.... أو بواكـير التعـافي... ألحق به صـوتك في اليوم التالي
خيطاً من نـور مائل بين الرمادي والأبيض...وفي اليوم الثالث نور
أبيض ناصع... لذلك سألتك مراراً - هل سحرتِني - ؟ ليأتِ سحرك
مبطلاً لسـحر قديم ملعون متمكن....قديم بقدم الحزن... آه آه آه
يـا حبيبتي....كم أشـتهي احتضـانك... أشـتهي أن أبكي بعنفوان
رجل يأبى أن يمرر البكاء خيوله بين جفونه...أتوق إلى معانقتك...
شـهيق بكائـي محبوس في قفصـي... الآن لا أحسـن سـوى البكاء

هــل تفهمين... أكرر ما قلته لك بصــوت عال: (ألعن الســاعة التي أسـتحيل فيها إلى موظف يعشــق تقديم الاعتذارات الصـباحية... أو زوج امرأة تنام طويلاً.... وأطفال يتناسـلون من الذعر.... ليس إلا أنــت)... حبيبتــي... لقد فتنني غيابـك...آه... آه... أدرك أنك تملكـين مثلي قلباً مملوءاً بالشـجن...لو حكيت لك سـنة تلو سـنة فلن أنتهي من البكاء بصـوت مكتوب... أذكر يوم قلت مجازاً:بيني وبينك (بَين) لو انصهرنا فيه أكونكِ وتكونني....وها نحن ننصهر في عمــق هذا البين...الآن فقط عرفت أي نبوءة تدفعني لكتابة هذه الرسائل.. لن يخيب ظني بتاتاً فحتماً ستعودين لأنني آمنت بالحب كما آآآآآمنت بالله رب القلوووب... أنتظرك

المحتويات

نكهة أنثى محرّمة

محمد المزيني

كم كنت جاحدا ..لم أقاوم ..لم أشرع صدري دونك حتى لو سحقت آخر عظمة من فقرات ظهري ... مثل هذا الجحود شكل خميرة المدينة التي تسلل منها الحب عبر أبوابها الخلفية ... لم يبق سوى الموت المنتفش من هزال الأرواح المسكونة بالوحشة ..والذعر....المو[illegible] يكو[illegible] تخوما للسكون ... و يرس[illegible]له مثل كتيبة تحر تدشن [illegible] استفتاحية على [illegible] القلوب المقفرة والرؤوس الخاوية ...

ISPN 6038000076



9 786038 000076



دار الكفاح للنشر و التوزيع
AL - KIFAH PUBLISHING HOUSE